

من روائع الأدب العالمي لـ إيلياش

١٩١١

إيلياش

سير والتر سكوت





إيقانهو

تأليف: سير والتر سكوت

ترجمة: صبرى الفضل

مراجعة: مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٩٨  
مكتبة الأسرة  
برعاية السيدة سوزان مبارك  
(روائع الأدب العالمى للناشئين)

الجهات المشاركة:  
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية  
وزارة الثقافة  
وزارة الإعلام  
وزارة التعليم  
وزارة التنمية الريفية  
الجلس الأعلى للشباب والرياضة  
التنفيذ: هيئة الكتاب

إيفانهو  
تأليف: سير والتر سكوت  
ترجمة: صبرى الفضل  
مراجعة: مختار السويفى  
الخلاف: للفنان جمال قطب  
الإشراف الفنى:  
للفنان محمود الهندى  
المشرف العام  
د. سمير سرحان



ایفانہو



تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية  
وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى  
المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ  
للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر  
الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى  
فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د . سمير سرحان

---



## مقدمة عن المؤلف

### والتر سكوت

( ١٧٧١ - ١٨٣٢ )

ولد والتر سكوت في ادنبره ، وتعلم بها الى ان عمل بالحاماة مثل ابيه . يعد اعظم روائى عصره على مستوى اوروبا كلها ، بجانب كونه شاعرا مرموقا . ونجح نجاحا جماهيريا لم يحققه احد من قبله ، وكسب من اعماله الادبية اموالا طائلة .

وهو من رواد الرومانسية ، لذلك نجد من اهم مظاهر اعماله حبه للماضى وتوفره على احيائه وتمجيده ، ويعالج في رواياته تاريخا امتد من المصور الوسطى الى العصر الذى عاش فيه . وخلق كثيرا من الشخصيات التى كثيرا ما تقارن بشخصيات شكسبير شاعر انجلترا الاول .

وهو اكثر من امتع القراء من الروائين الانجليز ، بعد ديكنز . وهو اول من قدم التاريخ من خلال الشخصيات . ورواية ايفانهو ، واحدة من اكثر من عشرين رواية له . وتدور أحداثها فى المصور الوسطى .  
الترجم



## الفصل الأول

### فى الغابة

فى تلك المنطقة الممتعة من انجلترا التى يرويها  
نهر الدون بمياهه الخصيبة ، امتدت فيما مضى من  
الزمان ، غابة واسعة تكسو بأشجارها الوارفة ، الجزء  
الأكبر من سلسلة الجبال والوديان الجميلة ، الممتدة  
بين مدينتى « شغلد » و « دونكاستر » .

وتاريخ قصتنا يرجع الى ما يزيد عن سبعمائة  
وخمسين سنة مضت ، عندما كان ريتشارد قلب  
الأسد ملكا على انجلترا ، ولكنه غائب منذ فترة طويلة  
فى فلسطين . ويحكم أخوه جون انجلترا نيابة عنه -

يحكمها بشكل سيء . وفى نفس الوقت يتأمر ويدبر  
الخطط ليستولى على العرش لنفسه ، ويطرد أخاه ،  
ريتشارد عندما يعود .

وقبل هذا التاريخ بمائة سنة فقط غزا  
النورمانديون انجلترا . ومع مرور الوقت اندمج هذان  
الشعبان - النورمانديون والسكسونيون - سويا مكونين  
الأمة الانجليزية المعروفة اليوم . ولكن فى زمن هذه  
الرواية ، لم يكن هذا الاندماج قد حدث بالفعل فساكن  
انجلترا متنافرون متناكرون ، يضمرون الكره والبغضاء  
لبعضهم ، فالنورمانديون هم « الثبلاء » أو أصحاب  
الحكم والسلطان ، والسكسونيون هم أصحاب البلد  
الأصليون . فهذا فريق غالب متعجرف ، وذاك فريق  
مغلوب لا ينال الا الفتات من ثروته وأراضيه .

كانت الشمس تغرب فوق تلك الغابة الغنية ،  
التي ذكرناها ، وتبسط مئات من أشجار السنديان  
الوارفة اذرعها المعقودة فوق العشب الأخضر الكثيف .  
وفى بعض الأماكن تتلاحم الأشجار وتتعانق مع بعضها



البعض ، فتحبس ضوء الشمس وتحجبه تماما . وفي  
أماكن أخرى تتباعد متناثرة فيتعلق ضوء الشمس فوق  
فروعها وينساب على جذوعها المغطاة وبالطحالب والنباتات  
المتسلقة فيرسم ألوانا وأشكالا زاهية فوق العشب  
السفلى .

وهناك أرض فضاء واسعة في وسط هذه الغابة ،  
لعلها كانت تستخدم فيما مضى لأغراض دينية ، لأنه  
كان لا يزال قائما فوق قمة تل صغير ، حلقة من أحجار  
خام ضخمة ، هي بقايا معبد قديم . ولقد سقط أحد  
هذه الأحجار الضخمة الى أسفل التل ، حيث أعاق  
مجرى جدول ماء صغير ، الذي تحايل وفاض من فوقه ،  
محدثا شلالا مدممنا .

ويكمل هذا المشهد الطبيعي شخصان يتجاذبان  
أطراف الحديث . وكان أكبرهما له مظهر وحشي ،  
فرداؤه من أبسط الأنواع ، فقد كان عبارة عن سترة  
مصنوعة من جلد بعض الحيوان ، تغطي جسمه من عنقه  
الى ركبتيه ، ويطوق وسطه حزام عريض . ويحمل في  
حزامه بوقا ، وسكينا مرهفة الحدين . ويلتف حول

عنقه طوق من النحاس كتبت عليه باللغة السكسونية  
العبارة التالية : « هذا جورث بن بيوولف ، عبد ابن عبد  
ل : « سدريك رودروود » . وكان جورث هذا راعى  
خنازير .

ويجلس بجوار راعى الخنازير ، على احدى الاحجار  
المتساقطة ، رجل أصفر منه بنحو عشر سنوات ، مرتديا  
ملابس لا تخلو من الغرابة ، فسترتة أرجوانية ساطعة  
اللون عليها رسوم متعددة الألوان . ويلتف حول  
ذراعيه شريط فضي ، وحول عنقه طوق من الفضة ،  
كتبت عليه العبارة التالية : « هذا وامبا ابن ويتلس ،  
عبد ل : سدريك رودروود » . وهو مهرج سدريك الذى  
من واجبه أن يروح عن سيده ، ويسليه بالضحك  
والنكات أثناء تناوله وجبات الطعام أو فى أى وقت  
يطلب منه ذلك .

التفت جورث الى قطيع الخنازير السارح فوق  
المرعى ونفخ فى البوق عاليا ليجمعه استعدادا للرواح .



قال جورث : اللعنة على هذا الخنازير !

## وقال .

- « لعنة القديس ويتولد على هذه الخنازير ، »
- واجابت الخنازير على ندائه بنغمات متجاوبة مع موسيقى بوقه ، ولكنها تباطأت فى ترك وجبة طعامها .
- فصرخ بأعلى صوته على كلب شبيهه بالذئب :
- - فلا نجز ! فلا نجز ! تعال هنا .

فركض الكلب بوهن محاولا جمع العصاة من الخنازير .

## فقال جودث :

- - الشيطان خلع اسنانه ، واللعة على حارس الفابه الذى اصابه بجرح ، وجعله غير صالح لعمله .
- « وامبا » انهض وساعدنى . اذهب من وراء التل وادفع بهم نحوى .

## فقال « وامبا » دون ان يتحرك من مكانه :

- - فى الحقيقة ، وبكل صدق واخلاص ، لقد استشرت ساقى ازاء هذا الموضوع ، وكان من رأيهما

انه ليس من العدل بالنسبة للملابسى أن أحملها وأطوف  
بها عبر هذه الأماكن الموحلة ... ولكن رويدا ! ماذا  
لدينا هنا ؟

واخذ ينصت لصوت جياذ عديدة ، بدأ يعلو  
ويزداد . ثم أردف قائلا :

- لا بد أن أرى الركاب . لعلمهم قادمون من أرض  
الجن برسالة من الملك أوبرون .

**فاجاب راعى الخنازير بصوت ضجر :**

- عليك اللعنة .. لماذا تتكلم عن مثل هذه  
الاشياء ، بينما عاصفة يصل طينيتها من على بعد اميال  
قليلة منا ؟ انصت للرعْد . أما المطر ، فلم أر مثل  
هذه القطرات الكبيرة . دعنا نعود ولنسرع فى الرواح ،  
قبل وصول العاصفة ، فالليلة تلوح غاتية رهيبة .

وبدا على وامبا الاقتناع ، حيث رافق جورث الذى  
سار مسرعا عبر الغابة محلقا على قطيع الخنازير  
أمامه ..



## الفصل الثاني

### شخصان عظيمان

وما هي الا دقائق قليلة ، حتى أدرك جورث ووامبا  
كوكبة من الفرسان يتقدمها فارسان يبدو أن لهما بعض  
الأهمية .

احدهما كان من الواضح انه راهب عال المرتبة ،  
فعباءته من أفخر أنواع القماش ، مخفوفة بالفرو الثمين ،  
ويتهادى فى طياتها الرشيقة وقوامه حسن التغذية .  
وتدل ملامحه على أنه رجل لا يبخل على نفسه بأى نوع  
من أنواع الراحة . وكان وجهه يشع سعادة وظرفا ،

ويبدو على الجواد أيضا أنه حسن التغذية ، مع الامتنان  
لفضل الفارس المحنك . الذى يمتطيه .

اما رفيقه فهو فارس هيكل . وأعضاء نظام  
فرسان الهيكل هذا ، كان نصفهم قسس ونصفهم جنود ،  
فهم رجال قد أقسموا أن يعيشوا حياة شظف وبساطة ،  
وأن يحاربوا لاسترداد الأماكن المقدسة فى القدس .  
وكان هذا النظام يحوى رجالا من جميع الأمم ، كما  
كانت توجد دور لفرسان الهيكل ، فى معظم دول أوروبا .  
وبالرغم من هذا القسم كانت لفرسان الهيكل سمعة  
سيئة ، حيث كانوا غلاظ القلوب جائرين ، يوصمون  
باللؤم والخسة .

وكان فارس الهيكل هذا رجلا فى حوالى الأربعين  
من عمره . كان نحيفا وقويا وفارع الطول . وكان وجهه  
يشع مهابة ورعبا ، وينفث الخوف فى قلب أى غريب .  
وكانت بشرته محترقة تكاد تكون سوداء من شمس  
البلاد المشرقة . أما عيناه فكانتا مغمضتين بالشجاعة وقوة  
الشكيمة .



كان يرتدى عباءة حمراء ، مطرزا على الكتف الأيمن  
منها صليب أبيض ، إشارة للطريقة الدينية التابع لها .  
وتخفى هذه العباءة من تحتها قميصا واقيا من السلاسل  
الحديدية . . أما الركبتان والقدمان فتحميها صفائح  
من الصلب مربوطة بمهارة . ويحمل فى حزامه سكيناً  
طويلة ذات حدين . وكان يمتطى جوادا جميلا ، بينما  
جواده الحربى يقوده أحد أتباعه من خلفه . ويحمل  
تابع آخر رمحه ودرعه ، ويتبعهم آخران ، تدل ملابسهما  
على أنهما من بلاد المشرق .

أثار هذا المظهر الغريب لهذه الكوكبة من الناس  
اهتمام وامبا . انه يعرف أمير رئيس دير الرهبان فى  
جورفولكس المشهور فى هذه المنطقة ولأميال عديدة ،  
بحبه للصيد والولائم والمتع الدنيوية . أما مظهر رفيقه  
العجيب وأتباعه القادمين من بلاد المشرق ، فقد أثار  
انتباه جورث وومبا ، حتى كادا لا يسمعان أمير رئيس  
دير الرهبان عندما وجه لهما سؤالاً . فقال لهما للمرة  
الثانية رافعا صوته :

- اسألكما .. هل تستطيعان ارشادنا لمنزل  
سدريك روزرود ؟

**فاجاب جووث :**

- لن يكون من السهل العثور على الطريق اليه ،  
كما وان عائلة سدريك تاوى للفراش مبكرا .

**فقاطع الفارس الكلام قائلا :**

- لا تتفوه بهذا الهراء ! فمن السهل عليهم  
النهوض وتزويد مسافرين مثلنا بما نريد .

**فقال جووث :**

- لا أدري ، هل أهدى الى قصر سيدى أناسا  
يرون الضيافة فرضا واجبا ؟ فمعظم الناس يرون  
الضيافة نوعا من الفضل والمعروف .

**فقال الفارس غاضبا :**

- اتحدثنى بهذه اللهجة ، أيها العبد !

ورفع سوطه يريد أن يهوى به على رأس جورث ،  
فدخل أمير رئيس الدير بجواده بينهما ، وقال :

• نحن سكان الجزر البريطانية لا نحب الضرب •

ثم وجه كلامه لواмба وهو يعطيه قطعة نقود فضية ،

قائلا :

• دلني ايها الرفيق الطيب عن قصر سدريك •

فلا يمكن أن تكون جاهلا به ، ومن واجبك ارشاد

الضال •

### فاجاب واмба :

• اسلكوا هذه الطريق الممتدة أمامكم حتى تصلوا

الى صليب حجري عند مفترق الطرق ، فسيروا في

الطريق القائمة على يساركم ، لعلكم تصلون قبل هبوب

العاصفة •

وشكر رئيس الدير مرشده الحكيم وانطلق مع

الفرسان مسرعين •

وعندما خفت أصوات الجياد قال جورث  
لصاحبه :

- اذا تبعوا ارشاداتك الحكيمة ، فلن يصلوا  
روذروود الليلة .

**فضحك المهرج قائلا :**

- لا ، ولكنهم قد يصلون شغلده ، اذا شملهم  
الحظ الطيب بالرعاية ، وهذا مكان مناسب لهم .

**فقال جورث :**

- كنت محقا في تضليلهم . فقد يحدث مكروها  
اذا رأى أمير رئيس الدير ليدى رويننا - والشئ الأسوأ  
بالنسبة لسدريك أن يتشاجر مع فارس المعبد هذا .  
وفي أثناء الطريق تبادل أمير رئيس دير الرهبان  
مع سير بريان دى (١) بوا جلبرت فارس الهيكل  
الحديث ، قائلا :

- واعلم أن سدريك هذا ، رجل فخور ، عنيف ،

---

(١) « دى » كلمة فرنسية معناها « من » ، والجزء الثانى من  
الاسم عادة هو اسم للمكان الذى ينحدر منه الشخص .

غضوب • يقف بالمرصاد معاديا للتبلاء النورماديين ...  
بل حتى ضد جيرانه رينالد فرونت دى بواف (٢) ،  
وفليب مالفرون •

### فاجابه بوا جلبرت :

- ساستمتع بجمال ليدى رويانا ذائعة الصيت ،  
ليعوضنى عن توددى لجميل سدريك ابيها هذا الشخص  
الوقع المتمرد •

### فقال رئيس الدير :

- ليس سدريك بأبيها ، بل هو الوصى عليها •  
فهى قريبة له من بعيد ، فكن لبقا فى النظر الى رويانا ،  
لأنه يحميها بحرص شديد • ويقال أنه طرد ولده  
الوحيد ويلفريد ايفانهو من القصر ، لمجرد أنه تطلع  
نحوها فى تودد • ويود سدريك أن يزوجها ل : اثلستين  
كوننجز برج رجل كبير فى السن ، ينحدر من سلالة  
الملوك السكسونيين ... انظر ... ها هو الصليب  
الحجرى • لقد أخبرنا المهرج ، على ما أظن ، أن نتجه  
الى اليسار •

---

(٢) معناها بالفرنسية « جبهة الثور » •

**فقال الفارس :**

- الى اليمين حسب ما اذكر . ولكنى ارى تحت  
الصليب رجلا نائما ، دعنى أوقظه برمحي .

**فهب الرجل وهو يصبح :**

- لماذا قطعتم على سبيل تفكيرى أيها القوم ؟

**فقال الراهب :**

- نود أن نسألك عن الطريق الى روذروود ،  
حيث قصر سدريك الساكسونى .

**فقال الغريب :**

- أنا نفسى ذاهب الى هناك . وسأدلكم عليه .  
اننى حاج عائد لتوى من الحج لبيت المقدس .  
وسار بهم فى الطريق اليمنى ، التى توغلت بهم  
على الفور فى الغابة .

**وقال الراهب :**

- انى جد لمندمش ، انك بعد طول هذه الغيبة ،  
تتذكر طرق هذه الغابة جيدا .

**فاجاب دليلهم الحاج الملتئم :**

- اننى من مواليد هذه المنطقة .

**\*\*\***





## الفصل الثالث

### سدريك الساكسونى

جلس سدريك فى البهو الكبير ، ولم يكن معتدل المزاج ، لاسباب ثلاثة ... فليدى روينسا لم تحضر الصلاة المسائية فى الكنيسة البعيدة ، حيث تأخرت فى الحضور كما تأخرت فى العودة ... وكان يجب على جورث أن يعود منذ فترة طويلة ، مع الخنازير ... كما أنه يريد وامبا ليروح عنه ويسليه ، أثناء تناوله العشاء . وصاح فيمن حوله غاضبا :

- أين ليدى روينسا ؟ ما بالها لم تأت ؟

فقال الوصيعة الجيثا :

- انها تغير ملابسها ، وستحضر بعد قليل .

- وما الذى يؤخر جورث فى الحصول لهذه الساعة ؟ ستقولون لى ، على ما أظن ، أن أملاكى قد نقلها خدم النورماندين الجائعين . وومبا ، أين ومبا ؟ ألم يقل أحدكم انه ذهب مع جورث ؟

فاجابه اوزوالد الساقى انه كذلك . فهتف  
سدريك حائقا :

- آه ! هل انتقل هو الآخر ، المهرج السكسونى ،  
ليسرى عن أحد السادة النورماندين ؟

واختنق الصوت فى حلقه فهتف فى نفسه :

- آه يا ولفريد ! .. اتسمعنى يا ولفريد ! لو  
انك تحكمت فى عاطفتك الهوجاء ، لما أصبح أبوك  
فى شيخوخته ، مثل السنديانة المنزوية التى تتساقط  
منها فروعها المكشوفة ، أمام قوى العاصفة الغاضبة !

وبينما هو فى هذه المناجاة الحزينة ، دوى صوت  
بوق فأيقظه من غفوته ، ودخل أحد الخدم بعد قليل ،

**يقول :**

- ان بالباب الراهب ايمر والفارس بريان دى  
بواجلبرت واتباعهما يطلبون ضيافة سيدى لتناول  
الطعام وقضاء الليل ، حيث أنهم فى طريقهم الى مباراة  
الفرسان فى اشبى .

**فقال سعدريك :**

- كلاهما نورماندى . ولكن باب رودروود مفتوح  
لكل طارق ، حتى لا يقال انلى ضيفا يرد . اذهب  
يا هونديرت . وادخلهم . وانت يا اوزوالد ، قدم  
لهم افضل الشراب . بواجلبرت ! هذا الاسم تردد  
كثيرا فى الخير وفى الشر . انه فارس شجاع . . . ولكنه  
متفطرس وفاسق وغليظ القلب .

**والتفت الى الجيثا ، وصيفة دويننا وقال :**

- قولى لسيدتك انها فى حل من الظهور بيننا  
الليلة ، الا اذا كانت تريد ذلك .

**ف قالت الوصيفة :**

- سيسر سيدتي أن تحضر ، لأنها شغوفة دائما  
لسماع آخر أنباء فلسطين .

فصرخ مندريك :

- كفى !

وهمس في نفسه :

- فلسطين ! وأنا أيضا مشتاق الى سماع انباء  
فلسطين ... ولكن لا ... فابنى الذى عصانى لم يعد  
ابنى ... ولن أشغل نفسى بمصيره .

وانفتحت الأبواب على مصاريعها فى نهاية البهو  
الكبير ، ودخل الضيوف .

\*\*\*

## الفصل الرابع

### الوليمة . . . والتحدى

نهض سدريك لاستقبال ضيوفه ، واعطى اشارة  
لاعداد المائدة للعشاء .

وما كادت الوليمة تبدأ الا ورفع رئيس الخدم  
يده قائلاً بصوت مرتفع :

— افسحوا مكانا لليدى رويانا ! وانفرج باب  
جانبي ودخلت رويانا تتبعها وصيفاتها الأربع .

فنهض الجميع لاستقبالها ، وما كاد الفارس  
يراهها حتى انحنى على الراهب هامسا :

- هذه هي مكافاتي :

**فاجاب الراهب :**

- ألم أقل لك أنها لعل جمال عظيم ؟

وشعرت روينا بعيني الفارس تطيل التحديق فيها ، فأرخت خمارها حول وجهها اشارة لاستيائها .  
**فقال سدريك ، موجه الخطاب الى الفارس :**

- سير بريان ، ان وجنات فتياتنا السكسونيات ما تعودت أن تتلقى مثل هذه النظرات الشاخصة .  
**فقال بواجلبرت :**

- ان كنت قد اخطأت ، فأرجو المذرة منك ، ومن  
الليدى روينا .

**فقال الراهب :**

- لقد عاقبتنا الليدى روينا بارخاء خمارها ، دعونا  
نأمل ان تكون أقل قسوة فى مباريات الفرسان .  
**فقال سدريك :**



وهمس للراهب : هذه هي مكافأتي !

— ان ذهابنا ليس مؤكدا .

وقطع على الجماعة الحديث ، دخول أحد الخدم ،  
وهو يقول بأن بالباب غريبا ، يطلب الضيافة .

فقال سدريك :

— اسمحوا له . مهما كانت شخصيته أو ماهيته .  
تتبع الأمر يا وزوالد .

وعاد اوزوالد بعد قليل ، وأسر في اذن سيده ،  
قائلا :

— ان الغريب يهودى يدعى اسحق يورك .

ودخل البهو رجل طويل نحيل متقدم فى السن ،  
وقام بانحناء شديدة ، فرد عليها سدريك بايماء منه .  
انه اليهودى الذى وقف يتطلع للترحاب به أو لمكان  
يجلس فيه . فأعطاه الحاج المثلث الجالس بجانب المدفأة  
مكانه ، حيث اخذته الشفقة به ، وجلب له بعض الطعام ،  
من المائدة . انه الحاج القادم من بيت المقدس .



**واستأنف سدريك الحديث قائلا :**

– فلتشرب معي نخبا يا سير بريان • دعنا نشرب  
للشجعان ••• دعنا نشرب لهؤلاء الذين حاربوا ببسالة  
في فلسطين !

**فقال بوا جليث :**

– اشرب تحية لجماعتي • جماعة فرسان الهيكل،  
لأنهم الأفضل •

**فقالت رويانا تسال الفارس بريان :**

– ألم يكن بين الجيش الانجليزى من يتساوى مع  
فرسان الهيكل ؟

**فاجاب قائلا :**

– اغفرى لى ياسيدتى ، لقد احضر الملك ريتشارد  
معه الى فلسطين جيشا من الجنود الانجليز الشجعان ،  
ولكنهم يأتون بعد فرسان الهيكل •

## فصاح الحاج المتخفى :

- كلا يا سيدى ، لا يأتون بعد أحد !  
فالتفت الجميع نحو المكان الذى جاء منه هذا الرد  
غير المتوقع .

- وأقول بالاضافة لذلك - لأنى شهدت هذا  
بنفسى - أن الملك ريتشارد بنفسه مع ستة من فرسانه  
الانجليز عقدوا مباراة فى عكا ، وتحلوا جميع الذين  
حضروا ، وكان النصر حليفهم . وكان من بين المنهزمين  
سبعة من فرسان الهيكل فى ذلك اليوم .

وامتقع وجه الفارس من الغضب ، بينما ابتهج  
سدريك الذى قال :

- ايها الحاج ، سأعطيك هذا الخاتم الذهبى اذا  
ذكرت لى أسماء أولئك الأبطال الذين اشادوا عاليا باسم  
فرسان انجلترا وببسالتهم واقدامهم .

## فقال الحاج المتخفى :

- أولهم هو ريتشارد ، ملك انجلترا ، ولورد  
ليستتر هو الثانى ، وسير توماس مولتون هو الثالث ،

وسير فولك دويل الرابع ، والخامس هو سير ادوين  
تورنهام .

فصاح سدريك :

— جميعهم من الساكسون ، وسادسهم ؟

فقال الحاج بعد فترة صمت :

— السادس هو فارس شاب أقل شهرة وأقل  
رتبة ، قد غاب عنى اسمه .

فقال بوا جلبرت :

— لماذا أيها الحاج تتظاهر بنسيان اسم هذا  
الشاب ، بعد ما أدليت بهذا التفصيل ؟ سأذكر أنا  
اسم ذلك الفارس ، الذى لحسن خطه ، ولكبوة جوادى ،  
نجع فى التغلب على . ان اسمه ولقريده ايفانهو . ومع  
ذلك ، فانى اقول ، وأعلنها بأعلى صوتى . . . انه اذا  
كان موجودا فى انجلترا فانى أتحداه لمقابلتى ثانية فى  
آشبي ، والنتيجة أعرفها مسبقا .

فقال الحاج المتخفى :

— اعدك لو عاد ايفانهو من فلسطين ، فسيلقاك  
حتما .

**وقال بوا جلبرت :**

— واذا لم يفعل ، فسأعلنها على الملأ فى كل دولة  
من أوربا أنه جبان .

**فقالت ليدى رويانا :**

— لا داعى لذلك . وسيرتفع صوتى ، اذا لم يرتفع  
صوت آخر فى هذه القاعة ، ليقف بجانب ايفانهو  
القائب . كما أقسم بأن ايفانهو سيقبل التحدى الذى  
يرغبه هذا الفارس المعتز بشجاعته .

وخشى الراهب أن يؤدى مثل هذا الحديث الى  
مشاجرة ، فقال :

— سير سدريك ، دعنا نشرب نخبنا أخيرا فى  
صحبة ليدى رويانا ، وبعده نأوى الى فراشنا .

ومر الشراب حول الجميع . وقام الضيوف  
بانحناء شديدة لمضيفهم ، ولليدى رويانا ، ثم نهضوا  
للخروج ، بينما انسحب سدريك مع رويانا والحاشية .

وعندما مر بوا جلبرت باسحق ، قال :

- ايها اليهودى ! هل انت متجه الى مباراة  
الفرسان ؟

فقال اليهودى وهو ينحنى احتراماً :

- انى انوى على ذلك .

فقال الفارس :

- وبالتأكيد جعبتك مليئة بالنقود .

فصرخ اليهودى فى فزع :

- ابدا ، اطلاقاً . حتى هذه الملابس ليست ملكى .

فصحك بوا جلبرت فى حنق ، ومضى الى نهاية البهو .  
حيث كان يقف اتباعه الشرقيون ، فلحق بهم وتبادل  
معهم الحديث بلغة غير معروفة للحاضرين .

\*\*\*



## الفصل الخامس

### الحاج الغامض

وأثناء ذهاب الحاج الغريب الى غرفته مع خادم يدعى انوالد ، التقت به وصيفة من وصيفات رومينا ، التي اخبرته بأن سيدتها ترغب في التحدث معه . وأخذت المصباح من الخادم ، وأشارت للحاج بأن يتبعها ، فلحق بها طائعا عبر ممر قصير ، ثم صعدا سبع درجات ، فوصلا حجرة الليدى رومينا . وكانت تجلس على كرسى فسيح ترتب شعرها ، وتحيط بها ثلاث وصيفات ، فالتفتت نحوهن وقالت :

— انصرفن فيما عدا الجيئا فقط ، لأنى أرغب فى التحدث مع هذا الحاج التقى .

**ثم قالت بعد برهة صمت :**

- ايها الحاج ، ذكرت اسم ايفانهو الليلة  
فتحركت قلوب كثيرة فى ذلك البهو بذكر هذا الاسم .  
وما أنا أتجاسر وحدى وأسالك أين تركته ، وفى أى  
حالة ؟

**فاجابها الحاج الغامض بصوت مضطرب :**

- لا أعرف الفارس ايفانهو معرفة وثيقة ، وكنت  
أود أن أعرف عنه المزيد ، طالما انك يا سيدتى تهتمى  
بمصيره . انه ، على ما أعتقد سيعود الى انجلترا قريباً  
جداً . وانت يا سيدتى ، لابد انك تعلمين أفضل منى  
عن فرصة سعادته هناك .

**فقالت رويانا بعد تنهيدة طويلة :**

- ابتهل الى الله ان يكون قد وصل الى هنا فى  
امان ، وقادر على حمل الأسلحة فى هذه المباراة . واذا  
حصل اثيلستين كونهجزبرج على الجائزة ، فسسمع



ايفانهر أنباء محزنة عندما يصل انجلترا . . . . . ايتها  
الوصيفة ، اقتربي وقدمي للحاج التقى شراب ما قبل  
النوم ، حتى لا اعطله أكثر من ذلك عن راحته .

وتبع الحاج الجيثا خارج الحجرة ، فوجد عند  
الباب انوالد ، الذى قاده الى جزء خارجى من المبنى ،  
حيث توجد عدد من الحجرات الصغيرة المعدة لنوم  
الخدم ، والغرباء الفقراء ، وسأل الحاج المتخفى :

- فى أى حجرة من هذه ينام اليهودى ؟

فقال انوالد :

- فى الحجرة المجاورة لقداستكم .

- وأين ينام جورث راعى الخنازير ؟

فأجاب العبد :

- جورث : انه ينام فى الحجرة التى عن يمينك .

ودخل الحاج الحجرة واغلق بابها . كان اثاث  
الحجرة من أبسط الأنواع . . . . . مقعد خشبى فظ وفراش

أكثر فظاظه مغطى بالقش وبعض قطع من فرو الأغنام ،  
كاغطية للفرش .

أطفأ الحاج المصباح ، وألقى بنفسه على هذا  
الفرش ، بدون أن يخلع ملابسه . . . . . ونام حتى انبثاق  
الفجر ، عندما وجدت بشائر خيوط الشمس الأولى  
طريقها من قضبان النافذة الصغيرة ، فقفز عندئذ  
ناهما ، وأدى صلاته ، ورتب هندامه وغادر الحجرة ،  
ثم دخل حجرة اسحق اليهودى .

كان اليهودى راقدا على فراش مشابه للذى قضى  
الحاج ليلته عليه . وكان فى نومه المضطرب ، يحرك  
يديه وذراعيه ، كما لو انه يعانى من حلم مفزع ، وأخذ  
يهيمهم :

— بحق اله ابراهيم . ارحم رجلا تعيسا ! اننى  
فقير ؟ معدم ! حتى لو مزقتنى اربا اربا ، فلا أستطيع  
أن أعطيك شيئا .

فلنسه الحاج . فارتبطت هذه اللمسة فى عقل  
اليهودى ببعض المخاوف التى اثارها حلمه ، فقفز

مرعوبا ، ووقف شعر رأسه الأشيب كالقنفذ ، وهو  
يللم ثوبه من حوله شاخصا ببصره نحو الحاج المتخفي ،  
فى وجوم واندھاش وخوف جسمانى .  
فطمأنه الحاج وقال له :

— لا تخف يا اسحق فما أنا الا صديق ! أغرنى  
سمعك ولا تضيع الوقت سدى . مساء أمس عند  
انصرافنا جميعا من البهو الكبير ، سمعت فارس الهيكل  
يقول لاتباعه باللغة العربية التى اعرفها : راقبوا  
اليهودى واقبضوا عليه بعد انصرافه من هذا القصر ،  
واحملوه الى قلعة فيليب دى ما لغوازين أو فرانت  
دى بواف (١) .

لا يمكن وصف الرعب الم هول الذى اصاب اليهودى  
عندما استمع لهذا النبأ . . . تهدلت ذراعاؤه فى ارتخاء ،  
كما تهدل رأسه فوق صدره ، والتوت ركبتهاء  
وانهار عند قدمى الحاج صارخا فى هلع :  
— يا اله ابراهيم ! سبحانك ! لقد صدق الحلم .  
ها أنذا أشعر بتعذيبهم يمزق أوصالى .

---

(١) معنى هذا الاسم بالفرنسية : « جبهة الثور » .

## فقال الحاج :

- قف يا اسحق واستمع الى . اترك هذا القصر ، ولد بالفرار والناس نيام ، بعد وليمة ليلة أمس : هيا اتبعنى ، فسوف أرشدك عن طرق الغابة السرية الى أن تأمن طريقك الى مباراة الفرسان .

وبدأ اسحق ينهض بالتدريج ، انملة . . . انملة ، عند سماعه بأمل الفرار ، الى أن استقر راكمًا على ركبتيه ، وصرخ فى الحاج :

- ايها الشاب الطيب ، سأذهب معك ، ما الذى تنتظره ؟ هيا . . !

- لا شيء ، ولكنى لا اعرف كيف أخرج من هذا القصر ! هيا . . . هيا اتبعنى !

وسار الحاج باليهودى الى الحجرة المجاورة ، التى يقيم فيها جورث راعى الحنازير ، وكان وامبا معه أيضا .

فايقظه وقال له :

— انهض بسرعة يا جورث ، وافتح لى البوابة الصغيرة التى فى مؤخرة القصر ، لأخرج أنا واليهودى .  
فدهش جورث من اللهجة الآمرة التى كلمه بها الحاج ونهض مستندا على مرفقه ، وقال :

— يجب على كليكما انتظار فتح البوابة الرئيسية .  
ونحن لا نسمح بأى مغادرة سرية للقصر ، وفى مثل هذه الساعة بالذات .

**فقال الحاج فى نبرة آمرة :**

— لكنك لن ترفض طلبى هذا .

ثم انحنى فوق سريره ، وأسر اليه ببعض كلمات ، قفز جورث بعدها كمن مسه تيار كهربائى ، ورفع الحاج اصبعه محذرا وقال :

— انتبه يا جورث هيا افتح البوابة ، وفيما بعد ستعرف الأمر .

وأطاع جورث مسرعا ، بينما تبعاه وامبا واليهودى،

وهما مندهشان لهذا التغير المفاجيء في تصرف راعى  
الخنازير .

– اعط اليه يهودى جواده ، واعطنى آخر حتى  
اصحبه .

فقال جورث :

– سمعا وطاعة .

فقال وامبا عندما استدار صديقه :

– اود أن أعرف ما الذى تتعلموه ايها الحجاج فى  
الأراضى المقدسة ؟

فاجاب الحاج المتخفى :

– اننا نتعلم الصلاة ، ايها المهرج ، والتوبة عن  
خطايانا .

فقال المهرج :

– وأحيانا أكثر من ذلك ، لأن التوبة والصلاة لن

تجعل جورث يتصرف بهذا الأدب ، ولن تحثه على  
اقراضك جوادا !

وما هي الا لحظات حتى كان الحاج واليهودى  
يجدان فى السير مبتعدين عن القصر ، والحاج يقوم  
بقيادة اليهودى ، حيث ظهرت معرفته بكل طرق الغابة .  
وبعد توغلها لمسافة طويلة قطع الحاج جبل الصمت ،  
وقال :

- أترى هذه السنديانة الضخمة ؟ انها نهاية  
تخوم الأرض التى يسيطر عليها فرونت دى بواف .  
وهنا سنفترق ، فأنت الآن لا خوف عليك .

فقال اسحق :

- ليس قبل أن يقدم لك يهودى فقير شكره  
وامتنانه . واود أن اتمكن من مكافأتك على عطفك .  
واسمح لى أن أحقق لك أمنية تجول بخاطرك ا

فقال الحاج :

- ان ما يجول بخاطرى لا يمكنك تحقيقه .

– بل فى امكانى أن احقق لك رغبتك فى جـواد  
أصيل ودرع فارس .

فانتفض الحاج ملتفتا نحو اليهودى فى دهشة  
وقال :

– أى شيطان الهمك ذلك ؟

فقال اليهودى :

– دل كلامك بالامس على أنك ليس كما تبدو . .  
علاوة على أن داخل رداء الحاج تختبىء سلسلة الفرسان  
الذهبية . لقد لاحظتها عندما انحنيت فوق سريرى هذا  
الصباح . فى مدينة ليستر ، يوجد يهودى ثرى يدعى  
كيرجات حيرام ، معروف لكل الناس هناك ، سلمه هذه  
الورقة فلديه أطقم عديدة من أفخر أنواع الدروع ،  
إسوأها يليق بملك ، وسيعطيك منها ما تختار ،  
وسيقرضك أى شىء آخر تحتاجه لمباريات الفرسان .



وعنما تنتهى المباراة عليك أن تعيدها له أو تدفع قيمتها .

### فابتسم الحاج قائلا :

- ولكن يا اسحق الا تدرى أنه فى هذه المباريات يمنع درع المهزوم للفارس المنتصر .

فظهر على اليهودى بعض الاضطراب عند سماعه ذلك ، ولكن أحاسيسه الخيرة انتصرت على حبه للمال فقال :

- لا يهم ، لا يهم . فداك أغلى من الدروع . فمن أجلك لن يأخذ منك كيرجات جيرام أى مقابل .

### ثم اردف قائلا وهو يدير جواده :

- ومع ذلك ، أيها الشاب الطيب ، لا تقحم نفسك أكثر من اللازم فى هذه المباراة العقيمة . اننى لا اقول ذلك خوفا على الجواد أو الدرع ، ولكن خوفا على حياتك الغالية .

فابتسم الحاج مرة أخرى ، وقال :

- اشكرك على نصيحتك ، وسانتفع بعرضك  
الكريم ، وسأبذل قصارى جهدى فى سداد قيمته .  
وافترقا ، وسلك كل منها طريقا مختلفا الى  
مدينة شغلد .

\*\*\*

## الفصل السادس

### مباراة الفرسان في آشبى

عقدت المباراة في آشبى بحضور الأمير جون نفسه . وكان الموقع في غاية الجمال . فعلى حدود الغابة بعيدا عن مدينة آشبى بحوالى ميل ، تمتد المروج الواسعة التى نصبت فى الجهة الجنوبية ، منها خمسة سرادقات فسيحة مزدانة بأعلام الفرسان الخمسة ، الذين تحدوا غيرهم من الأبطال . وكان السرادق القائم فى الوسط هو الخاص ببريان دى بواجلبرت ، وعن يمينه سرادق ريجنالد فرونت دى بواف ، وفيليب دى مالفيزون ، وعن يساره سرادق هيوج دى جرانتسنل ، ورالف دى فيبونت .

وفى الجهة الشمالية توجد سرادقات الفرسان الذين يتحدثون الفرسان الخمسة . وفى المنتصف مقابل ساحة القتال تماما ، توجد المقاعد التى يعلوها العرش الذى سيجلس عليه الأمير جون . وفى الجانب الآخر من المروج ، مقابل هذه المقاعد ، توجد مجموعة أخرى من المقاعد أكثر زينة بها أعلام تحمل صوراً لقلوب مطعونة ، وأقواس وسهام ، وجميع شارات الحب ورموز الغرام ، يتوسطها عرش مكتوب فوقه « ملكة الجمال والحب » . فمن تكون ؟ لا أحد يستطيع أن يتنبأ . سوف تنتخب هذه الملكة من بين الفتيات ، وتتوج ملكة على الجمال والحب .

وامتلأت المدرجات بكل فئات المشاهدين ، فاحتل الفرسان والنبلاء والسيدات المقاعد العليا ، واحتل المقاعد السفلى المزارعون وطبقات الشعب ، وكثيرا ما تقع بينهم المشاجرات من أجل الأماكن .

صرخ رجل عجوز كان يرتدى ملابس توحى بأنه فقير ، ولكن سيفه وسلسلته الذهبية توحى بأنه رفيع

## المنزلة قائلا :

- انت أيها اليهودى ! كيف تزاحم نبىلا تجرى  
فى عروقه دماء نورماندية !

لم تكن هذه الكلمات موجهة الا لصديقنا اسحق ،  
الذى كان مرتديا أفخر الملابس والموشاء بالفراء الثمين .  
كان يحاول أن يحتل مكانا فى الصف الأمامى لابنته .  
ريبىكا الجميلة ، التى كانت تتعلق بذراع أبيها . وأثارت  
كلمات النورماندى العجوز حنق المشاهدين . كان من  
بينهم رئيس دير الرهبان فى جورفولكس بملابسه  
حزامه اثنا عشر سهما ، وقوس طوله ستة أقدام ، ولكن  
فى هذه اللحظة شد انتباه الجميع دخول الأمير جون  
المفاجئ ، محاطا بالنبلاء والفرسان ورجال الدين ، من  
بينهم رئيس دير الرهبان فى جولفولكس بملابسه  
المطعمة بالذهب والفراء الثمين . وكان الأمير نفسه  
يرتدى حلة حمراء فاخرة موشاة بالذهب ، وعلى رأسه  
قبعة من الفراء محلاة بالأحجار الكريمة وكان وجهه  
أنيقا ، لكنه متفطرس قاس مغمم بالغش والخداع .

وبينما كان الأمير يتهادى بجواده حول المكان ،  
شد انتباهه الازعاج الذى تسبب فيه اسحق وهو يؤمن  
مقعدا فى الصف الأمامى . وأجال طرقة فى الجمهور  
فوق على اليهودى ، ولكن شدة انتباهه أكثر ابنته  
الجميلة . فكان وجهها اللطيف يبرز حسنه وبهاء الرداء  
الشرقى الذى كانت ترتديه ، ويتوج رأسها غطاء  
حريرى أصفر ، يتناسب مع سمرة بشرتها . واشراقة  
عينيهما ، وأقواس الفخر فى حاجبيهما ، وأنفها حلو  
المقاييس ، وأسنانها كاللؤلؤ المنضود ، وثرء شعرها  
الداكن المتهدل فوق عنقها المياس ، كل هذه المقاتن  
مجتمعة خلقت وثاما من الروعة ينافس أجمل الجبيلات  
من حولها .

### وقال الأمير جون :

- أقسم برأس ابراهيم ان هذه الفتاة اليهودية  
هى مثال للجمال . ما رأيك يا حضرة الراهب أيمر ؟

### فاجاب أيمر :

- انها وردة وزنبقة الوادى !

وعندما اقترب الأمير من اليهودى سألته :

- من هذه يا اسحق ... زوجتك أم ابنتك ؟

فاجابه اسحاق مع انحناء شديدة :

- انها ابنتى ربيكا يا سمو الأمير !

ثم وجه الأمير كلامه للراهب قائلا :

- اننا لم نختار ملكة الحب والجمال التى ستقوم

بتقديم الجائزة للمنتصر . أما عن نفسى ، فسأنتخب

ربيكا صاحبة العينين السوداوين .

فاجاب الراهب فى فزع :

- يا للهول ! أقسم انها أدنى بكثير من الغاتنة

السكسونية رونيا .

فاجاب الأمير :

- بل ننتخب ربيكا .

فعلت مهمة غاضبة ، حتى بين حاشية الأمير

نفسه . فتبين جون ضرورة الازعان . وقال دى براسى :

- دع الفائز يا مولاي ، يختار ملكة المهرجان .  
فوافق الأمير ، وبعد أن جلس على عرشه أمر  
بإعلان قواعد المباراة وشروطها . وهى كالآتى :

١ - يجب على الفرسان الخمسة أن ينازلوا كل  
من يتحداهم .

٢ - يجب على كل فارس أن يختار غريمه من  
المتحدين الخمسة ، بعد أن يلمس برمحه ترس غريمه .  
فاذا لمس الترس بمقبض رمحه ، فستختبر المهارة  
بالرمح فقط . أما اذا لمس الترس بسن رمحه ،  
فسيكون النزال بمختلف أنواع الأسلحة ، حتى تنتهى  
المعركة بينهما بالموت أو الاستسلام .

٣ - ويتسلم الفائز فى اليوم الأول من المباراة ،  
كجائزة ، جواد حرب من أحسن الجياد ، كما سيكون  
له شرف اختيار ملكة الحب ، التى ستسلم الجائزة فى  
اليوم التالى .

٤ - وفى اليوم الثانى ، ستقام مباراة عامة



يشترك فيها جميع الفرسان الحضور ، على أن ينقسموا  
الى فريقين متساويين فى العدد ، ويظلوا يتقاتلون ،  
حتى يعطى الأمير الإشارة بنهاية المباراة . عندئذ  
ستتوج ملكة الحب الفائزة بالاكلیل الذهبى .

بدأت المروج فى أحلى حللها ، تحفل من كل جانب  
بكل ما هو نبيل وعظيم وثرى وفاتن ، من بقاع انجلترا  
المختلفة .

وأنهى خدم الأمير بلاغهم بالصرخة المعتادة :

— البدره ، البدره أيها الفرسان الشجعان  
وكلمة بدره معناها « العطايا من النقود » . العملات  
الذهبية والفضية ، التى يلقيها عليهم المشاهدون .  
وردا على هذه العطايا ، يصيحون قائلين :

— المحبة للسيدات ... الموت للمقاتلين ...  
الشرف للكرماء ... المجد للشجعان !

وتعزف الموسيقى بينما ينسحب الفرسان من  
الحلبة .

واحتشدت المنطقة الفضاء المحاطة من الطرف  
الشمالى من المروج بالفرسان الراغبين فى اثبات  
مهاراتهم ومنازلة الفرسان الخمسة .

وأخيرا فتحت الأبواب ، واختاروا من بينهم خمسة  
فرسان تقدموا نحو المركز مسيطرين على جيادهم  
الجامحة ، ومظهرين فى نفس الوقت رشاقاتهم  
ومهارتهم فى ركوب الخيل . ومع دخول الموكب المروج  
الرئيسى ، عزفت الموسيقى وانبعثت أنغامها الحماسية  
من خلف سرادقات المتحدين . وإلى أن وصل الفرسان  
الخمسة حيث تقام هذه السرادقات وأنظار جموع  
المشاهدين الهائلة مشدودة اليهم . فداروا فى الميدان  
بخطى متمهلة وتفرقوا . وضرب كل واحد منهم بمقبض  
رمحه ترس الفارس الذى يرغب فى منازلته . ثم  
تقهقروا الى نهاية المروج ، واصطفوا فى صف واحد .  
وبرز لهم فى الحال الخمسة المتحدون ، كل من سرادقه  
ممتطيا جواده وكل متوجه نحو الفارس الذى لمس  
ترسه .

وعند اشارة البدء ، التحم كل فارس بخصمه .

ولقد وقع خصوم بواجلبرت ، ومالفيزون ، وفرونت  
دى بواف من على جيادهم ، وتدحرجوا على الأرض .  
ولم يسدد خصم جرانتمسنل سن رمحه ضد رأس عدوه  
أو ترسه ، ولكنه انحرف بعيدا عن خط السير ، فكسر  
سلاحه فوق جسد عدوه . . . وهى قرينة تعتبر أكثر  
خزيا له عن وقوعه من فوق جواده . أما الفارس  
الخامس ، فلقد صان شرف فريقه بمفرده ، فهو وغريمه  
رالف دى فيبون كسرا رمحيهما وأصبحا متعادلين .

ودخل الميدان فريق ثان وثالث من الفرسان  
وبالرغم من حصولهم على بعض التوفيق الا أن التفوق  
ظل ، بصفة عامة فى جانب المتحدين . وبدت روح  
خصومهم متدنية لاستمرار ، تفوقهم . وظهر فى الجولة  
الرابعة ، ثلاثة فرسان فقط . وتجنبوا تروس  
بواجلبرت ، وفرونت دى بواف ، وقاموا بلمس تروس  
الفرسان الثلاثة الآخرين ، الذين لم يظهروا كثيرا من  
القوة والحدق . وحتى هذا الاختيار الوجمل الهيوب لم  
يغير من النتيجة ، اذ كان مصير هؤلاء الثلاثة هو مصير  
من تقدمهم .

وبقى الميدان خاليا مدة طويلة ، ولم ينبر أحد  
للقتال ثانية .

وهمهم المشاهدون ، لأن من بين المتحدين كان  
مالفيزون وفرونت دى بواف مكرومين لأخلاقهما  
السيئة . وكان الثلاثة الآخرون مكرومين ، لأنهم  
أجانب وأغراب .

ولم يحس أحد بالسخط الشديد ، مثل ما أحس  
به سدريك السكسونى . ففى كل فوز يحرزه المتحدون  
النورمانديون يرى فيه انتصارا على شرف شعبه .  
فنظر بقلق نحو أثلستين وقال :

— الحظ اليوم يعادى انجلترا ، يا سيدى ، ألا  
يشرك هذا باستخدام رمحك ؟

**فاجاب أثلستين :**

— سأقاتل غدا . فلم أهين نفسى للقتال اليوم .  
واستمر الميدان خاليا . وأخذت موسيقى المتحدين  
تصدح من وقت لآخر ، كأنها تنادى خصوما جديدا  
لنزالهم ، ولكن لم يأت أحد . وندم عامة الشعب لقضاء

أجازتهم فى هذا الجو الفاتر . وعلية القوم والفرسان  
القدامى يقولون أن الشباب لم يعد كما كان فى أيامهم .  
وشرع الأمير جون يخاطب أتباعه لتجهيز المأدبة التى  
تلى المباراة ، وقال انه لا مناص من اعطاء الجائزة  
لبواجلبرت الذى طرح أرضا ثلاثة فرسان برمحه ، لولا  
أن حال بينه وبين ذلك صوت بوق منفرد قادما من  
الطرف الشمالى . وترامت جميع الأنظار لترى القادم  
الجديد ، واشرابت اليه الأعناق . كان يرتدى درعا  
مصنوعة من الصلب المحلى بالذهب ، وممسكا بترس  
مزين بصورة شجرة صغيرة من أشجار السنديان  
منزوعة من جذورها ، ومكتوب تحتها باللغة الأسبانية  
ما معناه « المطرود من وطنه » . وكان ممتطيا جوادا  
اسود شديد البراعة ، وعند مروره ، حيا برشاقة وخفة  
الأمير والسيدات ، وذلك بأن أخفض رمحه . وكسب  
ببراعته فى الاستعراض وتحكمه فى جواده ورشاقته  
الفتية استحسان الجمهور ، الذى أخذ يطلب منه أن  
يلمس ترس دى فيبون أقل الفرسان قدرة ، ليحصل  
على فرصة فى الفوز .

ولكن تحرك نحو الطرف الآخر من المرج  
ولدهشة الجميع ، انطلق طائرا الى السرادق الأوسط  
وضرب قرص بريان دى بوا جلبرت بسنان رمحه ،  
ومعنى ذلك أنه يدعو لنزال تستخدم فيه جميع  
الأسلحة . ثم عاد بجواده للخلف ، ووقف فى الطرف  
الآخر من الميدان ، فى انتظار خصمه .

وأعطيت الإشارة . وفى ومضة البرق اختفى  
الحصان من مكانيهما ، والتقىا فى وسط الميدان فى  
صدام كالرعد . تحطمت فيه رمح كل منهما ، وطارت  
شظاياهما . وكبا الجوادان تحتها ، غير أن مهارتهما  
أقالت الجوادين من العشار . وبقي الفارسان برهة  
يتبادلان نظرات تتطاير بالشرر ، ثم عاد كل الى مكانه ،  
فزوده تابعه برمح جديد .

وحل صمت رهيب ، وكان الجمهور كان يخشى  
حتى أن يتنفس .

وأعطيت الإشارة مرة أخرى ، فانطلقا مرة ثانية  
من معقليهما ، والتقىا فى منتصف الميدان بنفس  
السرعة ، وبنفس البراعة ، ولكن ليس بنفس النتيجة .



و ضرب بمقبض رمحه ترس الفارس

فقد سدّد بوا جلبرت طعنة الى منتصف ترس خصمه ،  
كانت من الشدة للدرجة أن رمحه قد تكسرت الى شظايا  
و « الفارس المحروم من وطنه ، أو الفارس الشريد كاد  
يسقط من فوق سرج جواده .

وكان الفارس الشريد يوجه ، فى بداية هجومه  
سنان رمحه نحو ترس بوا جلبرت ، ولكنه فى آخر  
لحظة غير خطة انقضاضه ، وسدده الى الخوذة . والرأس  
هدف من الصعب ضربه ، ولكنه اذا أصيب ، فالأمل  
فى النجاة ضعيف ، وكال هذا المجهول لخصمه  
النورماندى طعنه نجلاء فانقطع سرجه . فكبا الجواد  
وانطرح بوا جلبرت أرضا ، وتدحرجا على الأرض تحت  
سحابة من الغبار .

وتخلص بوا جلبرت من جواده سريعا واستل  
حسامه ، وقد جن جنونه من فشله ، ومن هتاف  
الجماهير . وأخذ يلوح بسيفه لقاهره . وقبل الفارس  
الشريد النحدى ، وقفز مترجلا عن جواده ، وجرد سيفه  
هو الآخر . ولولا أن نزل الحكام بجيادهم الى الساحة ،



ليفرقوا بين المتبارزين لما وقف القتال ، وذكر وهما أن  
قوانين المباراة لا تسمح بمثل هذا القتال .

**فقال بوا جلبت لخصمه والحنق يتناثر على  
جوانب كبريائه المحطمة :**

— عشمى أن نلتقى ثانية ، حيث لا يوجد من  
يفرق بيننا .

**فقال الفارس الشريد :**

— واذا لم نلتق ، فلن أكون أنا السبب . فانا  
رهن اشارتك ، وعلى أتم الاستعداد لمنازلتك راجلا أو  
راكبا ، وبالرمح أو بالفأس أو بالسيف .

واسكتهما الحكام بالمرور بينهما برماحهم المشرعة .

وطلب الفارس المنتصر قدحا من الشراب ، وفتح  
خوذته ليشرب **قاتلا :**

— الى جميع القلوب الانجليزية الأصيلة والى  
الانتصار على النورماندين .

ثم طلب اعلان المتحدين انه على استعداد لمقابلتهم  
جميعا حسب النظام الذى يختارونه هم .

وكان أول من نزل الى الميدان هو العملاق فرونت  
دى بواف ، المدمج بالدرع الأسود . وتفوق عليه  
الفارس الشريد تفوقا طفيفا ، ولكنه تفوق غير مشكوك  
فيه . وفى لقائه مع مالفيزون تفوق عليه أيضا ، لأنه  
لطمه لكمة شديدة تسببت فى اطاحة الخوذة من فوق  
رأسه ، وأعلنوه بهزيمته مثل رفيقه . وفى معركته مع  
دى جرانتمسنل أبدى الفارس الشريد أدبا جما . كان  
جواد دى جرانتمسنل صغيرا ، وفى هجومه أخذ يقفز  
بطريقة أحدثت خلاا بهدف راكمه . فرفض الفارس الشريد  
استغلال هذا الحادث ، ورفع رمحه وترك خصمه بدون  
أن يلمسه . ثم اتجه الى طرف الميدان ، وعرض على  
خصمه فرصة لقاء ثانية . ولكن دى جرانتمسنل رفض  
ذلك قائلا بأن غريمه لم يهزمه بمهارته فقط ، ولكن

بأدبه أيضا • وكان رالف دى فيبون آخر المتحدين •  
وكان من نصيبه الانطراح أرضا بقوة شديدة ، حتى  
أن الدم سال من أنفه وفمه وحمل خارج الميدان فاقد  
الوعى •

وبعدها أعلن الأمير ، وسط هتافات آلاف  
ال جماهير ، بأن مفاخر اليوم يكلل بها الفارس الشريد !•

★★★



## الفصل السابع

### اختيار ملكة الجمال

كان أول من حيا الفارس المنتصر ، هم حكام  
المباراة • وطلبوا منه أن يخلع خوذته ، أو يفتحها على  
الأقل ، ليظهر وجهه ، قبل أن يقودوه لاستلام جائزة  
مباراة اليوم • فاعتذر الفارس الشريد عن هذا الطلب  
بأدب • وهكذا أبلغ الحكام الأمير. رغبة المنتصر في أن  
يظل غير معروف •

وامتعض جون لذلك ، والتفت الى حاشيته قائلا :

— هل تعلمون من يكون هذا البطل المعتز بنفسه ؟

**فعلى همس من بينهم قائلا :**

- لعله الملك ، لعله ريتشارد قلب الأسد نفسه .  
فاصفر وجه الأمير جون عند سماعه اسم أخيه ،

**والتفت الى الفرسان المحيطين به قائلا :**

- والدمار .. دى براسى ... أيها السادة  
والفرسان الشجعان ، تذكروا وعودكم التى قطعتموها  
لى بتأييدى ونصرتى على أخى .

**فقال والدمار :**

- اطمئن ، لا يوجد أى خطر يا مولاي . فضخامة  
هيكل أخيك وأطرافه الهائلة لا يمكن أن تدخل فى هذه  
الحلة المدرعة التى أمامنا .

وأحضر الحكام الفارس الشريد أمام الأمير جون ،  
الذى لا زال يشعر بالقلق ، فامتدح الفارس فى كلمات  
مقتضية ملجلجة ، وسلمه اعنة جواد حرب أصيل هو  
جائزة الفوز . وكان يرتعش وهو يقوم بذلك ، خشية

أن تأتيه اجابة من هذه الخوذة المغلقة بصوت ريتشارد  
قلب الأسد ونبراته العميقة المفزعة .

ولم يتكلم الفارس الشريد اطلاقا ردا على الأمير .  
ولكنه انحنى انحناء جليلة . ثم وضع يده على ظهر  
الجواد ، وقفز على صهوته .

وهمس الراهب جورفولكس للأمير ليذكره  
باختيار ملكة الجمال لمهرجان اليوم التالى .

### • فقال الأمير جون •

— أيها السيد الفارس الشريد .. ان من واجبك  
أن تختار الفتاة الجميلة التى ستكون ملكة الجمال  
والحب لمباراة الفرسان فى اليوم التالى . والآن أرفع  
رمحك .

فأطاعه الفارس وعلق الأمير على سنانه اكليلا من  
الحريير الأخضر الموشى بالذهب .

وطاف الفارس الشريد فوق جائزته ، الجواد  
الأسود المطهم ، وكأنه يتفحص وجوه الحسنات

العديدات اللاتي يزين هذا المضمار البديع • فتضرجت وجوه بعض الفتيات بالحمرة خجلا ، ورسمت بعضهن على وجوههن نظرة فخار واعتزاز ، وتظاهرت بعضهن بجهلهن لما يحدث ، كما ارتدت بعضهن الى الوراء في وجل ، بينما ضحكت ثلاث أو أربع بصوت مرتفع •

ووقف الفارس أخيرا عند المدرج الجالسة فيه ليدي رويينا • وظل واقفا في مكانه لأكثر من دقيقة ، بينما تعلقت عيون الجمهور الصامت على حركاته وسكناته • ثم أنزل سنان رمحه بالتدريج وبرشاقة الى أن وضع الاكليل عند أقدام رويينا الفاتنة •





## الفصل الثامن

### الوفاء

وعندما وصل الفارس الشريد خيمته ، عرض عليه كثير من الخدم والسياس أن يساعدوه في خلع درعه ، فالكمل يرغب في أن يعرف من هو • ولكن الفارس رفض مساعدتهم ، واكتفى بمساعدة تابعه له ، الذى كان فظ الهيئة ، يخفى رأسه ونصف وجهه تحت قبعة سوداء كبيرة ، محاولا أن يتخفى مثل سيده •

وما كاد الفارس ينتهى من تناوله لوجبة طعام سريعة حتى أبلغه تابعه ، بأن خمسة رجال يقودون اليه خمسة جياد ، يريدون لقاءه • فارتدى الفارس عباءة طويلة وقبعة تخفى ملامحه ، ثم اتجه الى مدخل خيمته •

فوجد هناك خدام متحديه الخمسة . وتقدم الأول نحوه قائلا :

— طبقا لقوانين المباراة ، أنا ، بولموين ، خادم الفارس المشهور ، بريان دى بوا جلبرت ، أقدم لك جواده ودرعه الذى قاتلك بهما اليوم ، فلك أن تحتفظ بهما ، أو تسمح له بشرائهما منك . حسب ما تراه أنت .

وكرر الأربعة الآخرون نفس الكلام ، ثم وقفوا جميعا فى انتظار قرار الفارس الشريد .

**فاجاب الفارس موجهها كلامه لهؤلاء الخدم الأربعة :**

— عندى اجابة واحدة لكم : لن أقبل منهم الجياد ولا الدروع التى لن تفيد من هم أكثر شجاعة ، ولكن ، طالما أنى فعلا شريد بلا وطن ، وحتى الدرع الذى أرتديه ليس ملكى ، فلا بد أن أقبل أن أفنديها بالمال الذى يعرضونه .

**فكانت الاجابة :**

— لقد أمرنا أن نعرض مائة قطعة ذهبية فدية لها .

### فقال الفارس :

— هذا يفى بحاجتى ويزيد . فمطالبى الحالية تفرض على قبول نصف هذا المبلغ . أما الباقى فاقسموه بينكم .

فشكره الخدم على كرمه غير العادى ، وانحنوا له اجلالا .

ثم التفت الفارس الى خادم بريان دى بوا جلبرت وقال :

— أما عن سيدك فانى لا أقبل منه جوادا ولا سلاحا ولا فدية ، وقل له ، عنى ، أن معركتنا لم تنته بعد . . . ولن تنتهى حتى نتبارز بالسيوف ، وبالرماح ، على أقدامنا وعلى صهوة الجياد . لقد تحدانى أن أقاتله حتى الموت ، وانى لن أنسى ذلك .

ودخل الفارس خيمته ، وقال مخاطبا تابعه :

- وهكذا يا جورث لا أخل بسمعة قواعد  
الفروسية الانجليزية .

### فقال جورث :

- وأنا أيضا ، بالرغم من أنى راعى خنازير ، فلم  
أسىء الى دور الخادم النورماندى لفارس مدجج بالسلاح .  
ولكن اذا اكتشفونى ....

### فقال الفارس :

- كفى ! انت تعرف ما وعدتك به ، وسوف  
أكافئك على مخاطرتك التى تقوم بها من أجل . اليك ،  
هذه القطع الذهبية العشر ، خذها لنفسك ، واحمل  
هذه الحقيبة المملوءة بالذهب الى آشبى ، وابحث عن  
اسحق اليهودى ، ودعه يدفع ثمن الجواد والدرع الذين  
اقتترضتهما من صديقه .

كان اسحق وابنته يقيمان فى منزل ثرى يهودى  
بالقرب من قرية آشبى .

وفى غرفة صغيرة ولكنها جميلة ، جلست ربيكا

تتحدث مع أبيها • ومع حلول الظلام ، دخل خادم يحمل مصباحين من الفضة ، بينما وضع خادم آخر بعض الأطعمة والمشروبات ، فوق منضدة فضية صغيرة • وفي نفس الوقت أخبر الخادم اسحق اليهودى بوجود شخص يرغب فى التحدث معه • وبعد ما أمر ابنته ربىكا بأن تتحجب وافق اسحق بالسماح للغريب بالدخول •

### ودخل جورث قائلا :

— هل أنت اسحق يورك ؟

فاجاب اسحق :

— نعم ، أنا • ومن تكون ؟ ومن الذى أرسلك ؟

— أرسلنى الفارس الشريد ، الفائز بمباراة

الفرسان اليوم • لأحضر لك ثمن الدرع الذى اقترضه ،

أما الجواد فهو بالخارج • أود أن أعرف المبلغ الذى

عليه أن يدفعه للدرع •

**فقال اسحق بسرور :**

- لقد قلت أنه شاب طيب . كم معك من نقود ؟  
لقد أتيت بمائة قطعة ذهبية في هذه الحقيبة أو أكثر  
... انها ثقيلة .

**فقال جورث :**

- انى أضع فيها رؤوس أسهم !

**فقال اسحق وهو يتمزق بين حبه المعتاد للربح  
وبين رغبة وليدة لأن يكون كريما في الحالة الراهنة :**

- حسن . . لو اننى قلت ثمانين قطعة للجواد  
والدرع ، فهل لديك ما يكفى لأن تدفع لى هذا المبلغ ؟

**فقال جورث :**

- يكفى بالكاد . ان الجواد لم يصب بسوء ،  
ويمكنك أن تراه بالخارج . وسبعون قطعة كافية مقابل  
الدرع . واذا لم تقبلها ، فسأحمل هذه الحقيبة .  
عائدا بها الى سيدى .

## فقال اسحق :

- لا ، لا ، ضع النقود ... الثمانين قطعة ...  
وسوف ترى معاملتى الكريمة لك .

ووضع جورث النقود . وبدأت يد اليهودى  
ترتعش ، وهو يعد السبعين قطعة الاولى . أما القطع  
العشر الأخيرة ، فأخذها ببطء شديد ، وهو يترنم قائلا:

- واحد وسبعون ... اثنان وسبعون ، ان سيدك  
شاب طيب ... ثلاث وسبعون ، شاب ممتاز ...  
أربع وسبعون ... يبدو أن هذه القطعة وزنها أقل ...  
خمس وسبعون ، وهذه أيضا تبدو خفيفة ... ست  
وسبعون ... سبع وسبعون ...

وتعلق أمل جورث فى انه سيعطيه الثلاث قطع  
الأخيرة ، ولكن العدد استمر :

- ثمان وسبعون ، انك انسان طيب ... تسع  
وسبعون ، وتستحق شيئا لك .

وهنا توقف اسحق مرة أخرى . ونظر الى

القطعة ، وكانت جديدة ، دسمة ، كاملة الوزن ،  
لا يمكن أن يفارقها ، فقال :

- ثمانون وبهذا يكتمل العدد ٠٠٠ وعشمتي آن  
يعطيك سيدك شيئا . بالتأكيد لديك نقود أكثر في  
الحقيبة ، اليس كذلك ؟

**فضحك جورث وقال :**

- حوالى نفس المبلغ الذى حرصت فى عده توا .

**فقال اليهودى :**

- ربيكا ، هذا الشخص كان حاذقا معى للغاية ،  
ولكن سيده شاب طيب .

ولكن ربيكا كانت قد غمادت الغرفة . ونزل  
جورث السلم الى أن وصل للبهو المظلم ، وعندما  
تحسس طريقه نحو الباب ، شاهد شخصا فى ملابس  
بيضاء ، ممسكا مصباحا فظيا صغيرا . وأشارت فتاة  
له ليدخل غرفة جانبية صغيرة ، فأطاع وتبعها . وفى  
داخل الغرفة اكتشف مندهشا أنها اليهودية الفاتنة



التي رآها في المهرجان ، ومن برهة وجيزة ، في غرفة  
والدها . **فقال ربيكا :**

- أيها الانسان الطيب ، ان أبى يمزح معك  
فقط . انه مدين لسيدك بعطف أعمق من قيمة الجواد  
والدرع ، بل أضعاف ذلك عشرات المرات . كم دفعت  
لأبى توا ؟

**فقال جورث مندهشا من السؤال :**

- ثمانين قطعة ذهبية !

**فقال ربيكا :**

- في هذا الكيس ، ستجد مائة . اعط سيدك  
ما يستحقه ، وخذ الباقي لك . والآن ، هيا أسرع . . .  
وكن على حذر وأنت تسير في هذه البلدة المزدهمة ،  
والا ستفقد نقودك ، وحياتك بسهولة .

**واخذ جورث يكلم نفسه وهو يسير في طريقه**

**المعتم :**

— باسم القديس دانستان ، انها ليست يهودية ،  
بل ملاك من السماء ! عشر قطع ذهبية من سيدى ...  
وعشرون من هذا الملاك ! .. أوه ، يا له من يوم سعيد !  
مبلغ آخر مثل هذا واشترى حريتى .

★★★

## الفصل التاسع

### جورث وسط الخارجين على القانون

لم تنته بعد مغامرات جورث . وفى الحقيقة ،  
لم يتوقع هو نفسه أن يحدث ذلك . فبعد أن ترك  
أطراف القرية ، وجد نفسه فى ممر ضيق يجرى بين  
ضفتين تكسوهما الأشجار والأدغال ، بينما تتمطى هنا  
وهناك سندیانة عتيقة . باسطة أطرافها المتشابكة عبر  
الممر . . .

وكان الممر مليئا بالمطبات والحفر ، بسبب عجلات  
العربات التى نقلت مؤخرا مختلف الأثقال والأغراض

ومنذ أن ترك القرية ، وهو يسمع أصواتا بعيدة ،  
وضحكات تقطعها صرخات أحيانا ، وأحيانا أخرى  
موسيقى غجرية . وتسببت كل هذه الأصوات ، التي  
تنبئ عن حالة الفوضى في المدينة المزدهمة بالفرسان  
وتابعيهم في شعور جورث ببعض القلق ، فأخذ  
يقول لنفسه :

- كانت اليهودية على حق . أتمنى يا الهى أن  
انتهى من رحلتى هذه بالسلامة ، وأنا مع كل هذا الكنز .  
فالمنطقة تموج بمن يهيم ويتجول ، من فرسان وأتباع  
وجنود وخدم . وأى امرئ معه شلن واحد سيكون فى  
خطر . . . فما بال راعى خنازير فقير ، ومعه حقيبة  
مكتنزة بالذهب . ياليتنى كنت خارج هذه الأدغال  
الملعونة ، حتى أرى أى لص ، قبل أن ينقض على كتفى .

وأسرع جورث الخطى ، حتى يصل الى الأرض  
المكشوفة التى يؤدى الممر اليها ، ولكنه لم يكن محظوظا  
لانجاز هذا الهدف المتواضع . فعندما وصل الى نهاية  
الممر ، حيث تشتد الأدغال كثافة ، قفز عليه أربعة

رجال ، اثنين من كل جانب ، وقبضوا عليه . كانت  
المقاومة مستحيلة . وقال احدهم :

— سلم مالك تسلم . نحن اهل الخلاص ، نخلص  
الناس من أثقالهم .

**فتمتم جورث :**

— لن يحدث هذا بسهولة . سأدافع حتى آخر  
نفس .

**فقال طريد القانون :**

— سنرى ذلك حالا .

**ثم حدث رفيقه ، قائلا :**

— اسحبه . انه يريدنا أن نهشم رأسه ، ونمزق  
حقيبة ماله .

ودفعوا بجورث وسحبوه بخشونة فوق الضفة  
اليسرى . فوجد نفسه بين الادغال الكثيفة ، التي تمتد  
حتى السهل المكشوف . واقتادوه الى أعماق الغابة .

واوقفوه فى أرض مكشوفة ، عارية من الأشجار ، تسقط  
عليها اشعة القمر بحرية • وهنا التحق بالاربعة الخارجين  
على القانون آخرون ، يبدو أنهم ينتمون لنفس العصابة •  
فهم يرتدون ملابس خضراء ، ويمتشقون سيوفا قصيرة ،  
ويحمل كل منهم هراوة فى يده • عندئذ ، استطاع  
جورث أن يتحقق من وجوههم ، فكانت تحجبها غلالة  
سوداء ، معقودة من تحت عيونهم • وقال واحد من  
الخارجين على القانون :

— كم معك من نقود ، يا رفيق ؟

فاجاب جورث :

— ثلاثون قطعة ذهبية ، التى هى ملكى •

فقال رئيسهم :

— ان هذه الحقيبة تحتوى على أكثر من ثلاثين  
قطعة •

— انها تخص الفارس الطيب ، سيدى ، الذى

لمباراة الفرسان • كما أنه كان مظلما ، بسبب الادغال  
التي تحجب ضوء القمر ~  
أخدمه • وكان لا يجب أن أخبركم عنها •

**فقال واحد منهم :**

- انك رجل شريف ، فتعامل معنا بصدق •  
سلم حقيبتك ... مؤقتا • من هو سيدك ؟  
- الفارس الشريد •  
- ... الذى فاز بالجائزة فى مباراة اليوم ؟

**فاجاب جورث :**

- أجل • وهذه الحقيبة بها ثمن الجياد والدروع  
الأربعة •

**فسال الخارج على القانون :**

- كم بها ؟  
- مئتا قطعة ذهبية •

**فقال الخارج على القانون :**

– مثنان فقط ! لقد عامل سيديك المهزومين  
بكرم • لقد هربوا بثمان بخس • من دفع النقود ؟  
قل أسماءهم •

فعل جورث ذلك ..

**فقال له الخارج على القانون :**

– وما هو الثمن الذى دفع مقابل درع فارس  
الهيكل ، بريان دى بوا جيلبرت وجواده ؟ واحذر  
فأنت لا تستطيع خداعى •

**فقال جورث :**

– ان سيدى لا يقبل شيئا من فارس الهيكل ،  
الا حياته • فالتحدى بينهما هو القتال حتى الموت •

**فقال الخارج على القانون :**

– حقا ، وماذا تفعل أنت الآن فى أشبى ، بكل  
هذا المال ؟



– ذهب لاسحق اليهودى لادفع له ثمن الدرع  
الذى اقرضه لسيدى من أجل هذه المباراة .

**فساله الخارج على القانون :**

– وكم دفعت ؟ فلا يزال فى الجعبة الكثير .  
– دفعت لاسحق ثمانين قطعة ، ورد هو لى مائة .

**فقالوا جميعهم فى وقت واحد :**

– كم ! ماذا ! هل تجرؤ على الكذب علينا !

**فقال جورث :**

– ما أقول لكم الا الحقيقة . ستجدون هذا المبلغ  
فى كيس من حرير ، منفصل عن باقى الذهب .

**فقال رئيسهم :**

– احضروا مصباحا ! سأفحص هذه الحقصة

بنفسى .

وأثوا بالمصباح ، والتف الخارجون على القانون  
حول رئيسهم ، حتى أن من كانوا يمسون بجورث

رفعوا أيديهم عنه ، فانتهز جورث هذه الفرصة ،  
وانتفض بشكل مفاجئ محررا نفسه والتقط هراوة من  
أحد الرجال ، ونزل بها على الرئيس ، واسترد الحقيبة  
ثانية ، ولكن الخارجين على القانون كانوا أسرع منه ،  
وقبضوا عليه مرة أخرى .

### وقال الرئيس وهو ينهض :

— عليك اللعنة ! لقد هشمت رأسي . مع رجال  
غيرنا لكنت في خبر كان . ولكنك ستعرف حظك في  
الحال .

### وقال موجهها كلامه للخارجين على القانون :

— يارجال ، ان مال الفارس لا بد أن يترك حرا .  
انه من صنفنا ويشبهنا كثيرا ، والكلاب الأصيلة يجب  
الاعتناء ابناء جنسها ، بينما الذئاب والثعالب موجودة  
بكثرة .

### فقال أحد الخارجين على القانون :

— يشبهنا !؟

- أجل . . . أليس فقيرا وشريدا مثلنا ؟ ألم يكسب نقوده بحد السيف ، مثلنا ؟ ألم يضرب فرونت دي بواف ومالفيزون ، كما لو كنا سنضربهم لو تمكنا ؟ وتودون أن نعامله بكرم أقل مما عامله به اليهودي .

### فاجاب خارج على القانون آخر :

- لا ، هذا عار علينا . . . ولكن هذا الشخص الوقح ، أيذهب هكذا دون تأديب ؟

### فاجاب الرئيس :

- هذا اذا استطعت أنت ان تؤدبه .

### ثم التفت الى جورث قائلا :

- لقد نفحتني ضربة قوية بتلك الهراوة ، فلنرى ان كنت تستطيع ذلك مع هذا الشخص ، وسنعطيك حريتك . خذ هراوتك ياميلر . وانتم يا رفاق ، اتركوا هذا الشخص ، واعطوه هراوة . والضوء كاف ليرى بعضهما .

وتقدم كل من الرجلين مسلحا بهراوته الى وسط  
الساحة المكشوفة ، حتى يحصلوا على أكبر قدر من ضوء  
القمر .

### وصرخ الخارجون على القانون :

— خذ حذرك ياميلر !

وامسك ميلر بهراوته من منتصفها ، وادارها من  
فوق رأسه وصرخ في تباه :

— تقدم ايها الشخص ، ان جرؤت على ذلك ،  
فستجرب مدى قوة ذراعى !

فأجابه جورث ، وهو يلعب بسلاحه حول رأسه  
بمهارة متساوية :

— الرجل الشريف لا يخاف لصا .

وهكذا تلاحم الرجلان ، ولبضع دقائق أبديا قوة  
وشجاعة ومهارة متساوية . . وكان كل منهما يكيل  
الضربات لخصمه بسرعة خاطفة . ومن صوت سلاحيهما ،



وهكذا تلاحم الرجال

سيعتقد أى شخص . من بعد ، بأن هناك ستة أشخاص  
على الأقل فى كل جانب .

وطال النزال وبمهارة متساوية . ولهذا بدأ ميلر  
يفقد هدوء طبعه ، ويفضب لهذه المقاومة القوية من  
خصمه ، وخصوصا عندما سمع ضحك زملائه الذين  
يستمتعون ، فى مثل هذه الحالات ، باغاظته . وهذه  
الحالة الذهنية ، غير مرغوبة ازاء هذه اللعبة النبيلة ،  
التي تتطلب أقصى برود أعصاب ، وأعطى هذا جورث  
فرصة يتميز بها على خصمه ، خاصة وأنه كان متمالكا  
لنفسه .

وتقدم ميلر فى غضب ، ضاغطا بضربات مرة  
بيمين هراوته وأخرى بشمالها ، بينما جورث يدافع عن  
نفسه ضد هذا الهجوم الضاغط ، باعدا بين يديه  
بحوالى ياردة ، وملوحا بسلاحه بسرعة فائقة ، حتى  
يحمى كلا من رأسه وجسده . وأخيرا لاحظ جورث  
أن خصمه بدأ يتعب ، فالقى بهراوته على وجهه بيده  
اليسرى ، وعندما حاول ميلر أن يتفادى الضربة ، أنزل

يده اليمنى بجوار يسراه ، وبإدارة سلاحه دورة كاملة  
ضرب خصمه على جانب رأسه الأيسر . فسقط ميلر  
ممددا على الأرض .

### وصاح الخارجون على القانون :

— أحسنت !

### وقال الرئيس :

— ايها الصديق . انت حر طليق . ولكن تذكر  
ما أقوله لك : لا تسأل عن أسمائنا ، ولا تحاول أن  
تعرف من أو ماذا نكون . . . . . والا ستلقى ما لا تعرفه  
من حظ عاثر .

وشكر جورث الرئيس ، ووعدته بان يفعل ما  
نصحه به . ورفع اثنان منهما بهراوتيهما ، وأمرأ جورث  
أن يتبعهما . وساروا في ممر ضيق يخترق الغابة ،  
ثم الاخدود القريب . وعند نهاية الغابة تحدث اثنان  
آخران مع حارسيه اللذين همسا بإجابة لهما ، فسمحوا

لثلاثتهم بالمرور . فادرك جورث أن الخارجين على القانون  
أقوياء ، ولهم حراسة منظمة حول أماكن تجمعاتهم .

وعند وصولهم الى السهل المكشوف ، خاف  
الخارجان على القانون أن يجد جورث مشقة في العثور  
على طريقه ، فقاده حتى قمة تل صغير . واستطاع من  
هناك ان يرى ميدان مباراة الفرسان ، منبسطة تحته  
في ضوء القمر . والسرادات تتلأأ في كلا الطرفين  
بالأعلام التي تزينها وتسبح مع أشعة القمر ، وبدأ  
يسمع أغنية الرجال المدججين بالسلاح الذين يقومون  
بنوبة الحراسة .

### وهنا توقف الخارجان على القانون وقالوا :

- لن نسير معك أبعد من هذا . فليس من الأمان  
ان نفعل ذلك . وتذكر الانذار الذي قيل لك . واحتفظ  
بسر ما حدث لك اليوم . انساه . . . . فحتى برج  
لندن ، لن يحميك من انتقامنا .

### فقال جورث :



— مع السلامة يا كرام • سأ تذكر أوامركم ، وآمل  
ألا أسئ لكم إذا دعوت لكم بمهنة أكثر أمنا وشرفا •

وهكذا افترقا ، وتابع طريقه الى أن وصل لخيمه  
سيده ، الذى أطلعه على كل مغامراته لتلك الليلة ، رغم  
تحذير رئيس الخارجين على القانون •

وملات الدهشة الفارس الشارد لكرم ربيكا  
والخارجين على القانون • وتمدد على أريكة لينام ، بينما  
ألقى جورث المخلص بجسده المرهق على فراء دب ملقى  
عبر فتحة الخيمة ، حتى لا يستطيع أحد أن يدخلها بدون  
أن يوقظه •





## الفصل العاشر

---

### اليوم الثانى لمباراة الفرسان

واشرق الصباح فى صحوة بديعة ، وغصت الساحة  
بالجماهير المسرعة لتأخذ أمكنتها من المدرجات . وفى  
الساعة العاشرة انطلقت الموسيقى معلنة قدوم الأمير جون  
وأتباعه . وفى نفس الوقت أقبل سدريك السكسونى  
وليدي رويانا ، ولم يكن اثلستين معهما ، حيث ارتدى  
درعه وسيحارب بجانب بوا جلبرت . وكان لديه  
سبب لذلك . وبالرغم من أنه كان كسولا فى اظهار  
تودده ، نحو ليدي رويانا ، الا أنه لم يكن غافلا عن  
جمالها وسحرها . كما كان يعتبر ارتباطه بها مسألة  
منتهية لأن سدريك وافق عليها من قبل . ولذلك ، فلقد

استاء عندما رأى الفارس الشارد يختار ليدي رويينا  
كمملكة للجمال . وقرر اذا سنحت له الفرصة ، أن  
يشعر الفارس الشارد بوطاة سلاحه الثقيل .

وعندما شاهد الأمير جون ملكة الجمال المنتخبة  
تصل الى الساحة ، ركض بجواده للقائها ، وخلع غطاء  
رأسه ، وترجل من على جواده ، وساعد ليدي رويينا  
للنزول من ظهر جوادها . وقام أتباعه بكشف رؤوسهم  
فى نفس الوقت ، وترجل واحد من أعرقهم نبالة ليمسك  
بجوادها .

### وقال الأمير جون :

- وهكذا تقدم مثالا للاخلاص للملكة الجمال -  
ونقودها بنفسنا الى العرش الذى يجب أن تعتليه اليوم .  
حيوا معى أيتها السيدات ملكتكم !

وقاد الأمير رويينا الى عرش الشرف المقابل لعرشه ،  
بينما تزاوجت أجمل وأبرز السيدات الحاضرات بعدها  
للفوز بأماكن قريبة من مليكتهم .

وحينما استوت روينا على عرشها ، صدحت  
الموسيقى وعلت هتافات الجماهير . ثم أعلنت قوانين  
المباراة . ممنوع على المتقاتلين أن يندفعوا بسيوفهم ،  
انما يضربون فقط . لا يجب على فارس ممتطى جواده  
أن يتقاتل مع آخر ، فقد جواده ، ويقف على قدميه .  
على القتال أن يتوقف عندما يعطى الأمير جون الإشارة .

ودخل الفرسان من طرفى الساحة فى موكبين  
طويلين . ونظموا أنفسهم فى صفين ، متقابلين تماما .  
ويقف رئيس كل فريق فى المركز ، أمام فريقه .

ياله من منظر رائع . . . ولكنه مقلق فى نفس  
الوقت أن تحشد هذه الأعداد الهائلة من أفضل الرجال  
ممتطين جيادهم ببسطة ، ومسلحين بشراء ، واقفين  
مستعدين للقتال . وكانوا وهم جالسين فوق جيادهم ،  
كعمدان حديد متعددة ، منتظرين إشارة البدء بنفس  
شغف جيادهم الشجاعة ، التى تضرب الأرض بحوافرها  
فى صبر نافذ .

وحتى الآن ، والفرسان يرفعون رماحهم الى أعلى ،

فتسطع أسنتها اللامعة فى الشمس . وهكذا ، ظلوا ،  
بينما يتفحص الحكام كلا الفريقين ، ليتأكدوا من أن  
الأعداد متساوية . ثم انسحب الحكام ، وصاح وليم دى  
وايقل بصوت من الرعد بكلمة البدء :

— ابدأوا !

وعزفت الموسيقى ، وانخفضت رماح الفرسان فى  
الحال ، وحضت الجياد على الانطلاق . واندفع الصف  
الأول من كل فريق منقضا كل على الآخر بسرعة هائلة ،  
فالتقيا فى منتصف الميدان فى ارتطام ، يسمع صوته  
من على بعد ميل . وتقدم الصف الثانى من كل فريق  
بخطوة أبطأ لمساندة الصف الأمامى .

ولا يمكن رؤية نتائج المعركة فى البداية ، بسبب  
عتمة الهواء ، من الغبار المتصاعد من أقدام الجياد العديدة  
والبعض قد سقط على قدميه ، ويتلاحم مع خصمه يدا  
بيد . والبعض أصيب بجراح ويحاول أن يوقف نزيف  
دمه ، ويخرج من المعركة . والفرسان الذين مازالوا على  
جيادهم ، وكسرت رماحهم يحاربون بسيوفهم .

وازداد الارتباك بتقديم الصفين التاليين ، واندفع  
فرسانهما لمساعدة رفاقهم .

### فصاح اتباع بوا جلبت :

— من أجل الهيكل ! من أجل الهيكل !

### وصاح الحزب الآخر قائلين باللغة الأسبانية :

— الفارس الشريد ! الفارس الشريد !

وأخذت المعركة تموج نحو الطرف الشمالى ثم  
نحو الطرف الجنوبى من الميدان . واختلطت اصوات  
السيوف وهى تقرع الدروع ، مع صرخات المحاربين  
خليطاً مخيفاً مع الموسيقى فتحجب أنات من يسقطون  
يتلوون عاجزين تحت سنابك الخيول . وتلطخت الدروع  
الرائعة بالنفائيات والدم . وتقطع الريش الزاه اللعوب ،  
من فوق الخوذات ، سابحاً فوق موجات النسيم مثل  
ندف الثلج . واختفى كل ما هو جميل ورشيق فى  
المشهد ، ولم يبق الا ما يثير الشعور بالرعب والشفقة .  
وقلت أعداد كلا الطرفين ، حيث استسلم كثيرون

أو اضطروا لمغادرة الميدان . وأخيرا ، التقى بوا جلبرت ،  
والفارس الشريد يدا بيد . وكانت مهارة كل منهما في  
الضرب ، والدفاع عن نفسيهما شيئا يفوق الوصف مما  
جعل المشاهدين يطلقون صيحات متعة واعجاب .

وفي هذه اللحظة ، حدث لجانب الفارس الشريد  
أسوأ ما فى المعركة ، اذ كان فرونت دى بواف بدرعه  
المهول فى طرف ، واثيلستين بقوته الثقيلة فى الطرف  
الآخر ، يكتسحان ويشتتان كل هؤلاء الخصوم .  
وعندما تخلصا منهم جميعا ، استدارا ، وفى نفس  
اللحظة ، بجواديهما ، وخفا لمساعدة بوا جلبرت فى  
قتاله .

وأدرك الناس أن الفارس الشريد لا يستطيع أن  
يقف أمام هذه الهجمة المفاجئة وغير المتكافئة من ثلاثة  
رجال فى وقت واحد .

### **فتعالت الأصوات من كل جانب تقول :**

— حذار أبها الفارس الشرير حذار !

فتنبه هذا للخطر المنقض عليه ، فعالج بوا جلبرت



بضربة شديدة ، ثم تراجع بجواده للوراء ، ليتفادى  
هجمة ايثلستين وفرونت دى بواف . فهذان الاثنان ،  
اندفعوا من الطرف المقابل ، وكادا يصطدمان ببعضهما  
البعض . ثم استدارا بجواديهما ، ولاحق الثلاثة  
الفارس الشريد .

ولم ينجده سوى قوة ونشاط جواده الذى فاز به  
فى اليوم الأول . وبقي يداور الثلاثة ، بسرعة طائر  
مرتجل ، فأبقى اعداءه بعيدا عنه قدر الامكان . واندفع  
مواجهها هذا ، ثم ذلك ، مسددا بسيفه ضربات كاسحة ،  
غير منتظر تلك الموجهة اليه .

وطلب الحاشية من الأمير أن يعطى اشارة انتهاء  
القتال ، ليجنب هذا الفارس الشجاع هزيمة لا يستحقها  
بتكالب أعداد أكبر عليه .

### قرفض الأمير جون وقال :

— ان هذا السفيفه المتنكر الذى يخفى اسمه ، قد  
فاز بجائزة المباراة الأولى ، والآن دع غيره ينال حظه .  
ولكن أثناء حديثه ، غير حادث غير متوقع حظ

اليوم كله . فقد كان فى فريق الفارس الشريد رجل  
فى درع أسود ، ممتطيا جوادا أسود ، كلاهما ، الرجل  
والجواد ، يبدو عليهما البأس والقوة ، وحتى تلك  
اللحظة لم يظهر الفارس الاسود أى اهتمام بالقتال ،  
مكتفيا بصد الهجوم اذا هوجم ، فلم يتعقب فارسا  
ولا تحرك للهجوم على أحد . فاطلق عليه الجمهور لقب  
« الفارس الخامل » !

وعندما رأى الفارس الاسود قائد جماعته يهاجم  
بهذه الشراسة ، تخلص من خموله وهجم لمساعدته ،  
وهو يصيح :

— الى نجدتك أيها الفارس الشريد !

وكان هذا هو الوقت بالفعل ، لأنه بينما كان  
الفارس الشريد يشد على بواجلبرت ويضيق الخناق  
عليه ، كان فرونت دى بواف قد اقترب مشهرا سيفه الى  
أعلى ، ولكن قبل أن تنزل الضربة ، كان الفارس الاسود  
قد عاجله بضربة على أم رأسه ، فاطاح السيف بالحوذة  
المصقولة وسقطت على رأس الجواد المسكين ، وسقط هو

وجواده على الأرض فاقدى الصواب . ثم انثنى الفارس  
الأسود على ائلستين ، وكان سيفه قد انكسر فى لقائه  
مع فرونت دى بواف ، فانتزع الفأس من يد السكسونى ،  
وهوى بها على أم رأسه ، فسقط جثة هامدة فى  
الميدان . ثم عاد بهدوء الى مكانه فى الطرف الشمالى  
من الميدان ، تاركا قائده ليتعامل مع بواجلبرت بمفرده .

ولم يعد هذا موضوع يشكل صعوبة كما كان  
سابقا . اذ كان جواد بوا جلبرت خائرا من فقدان الدم ،  
فانهار تحت وطأة هجوم الفارس الشريد . وسحل  
بواجلبرت فوق أرض الميدان ، لأن قدمه قد اشتبكت  
فى الركاب ولم يستطع أن يحرر نفسه أو يقف . وقفز  
خصمه من على جواده ، ولوح بسيفه فوق رأس غريمه  
وأمره أن يستسلم . ورأى الأمير جون ، الخطر المحدق  
ببواجلبرت ، فأعطى الإشارة لايقاف القتال .

وهكذا انتهت أشهر مباديات آشبى . أربعة  
فرسان قد لاقوا حتفهم فى الميدان ، وثلاثون مصابون  
إصابات خطيرة . منهم أربعة أو خمسة لن يشفوا منها .

وقاد الحكام الفائز ، عبر ميدان مبلل بالدماء الى أقدام  
عرش الأمير ، الذى قال :

- أيها الفارس الشريد ، طالما بهذا الاسم فقط  
ستقبل أن نعرفك ، نمنحك للمرة الثانية شرف هذه  
المباراة ، ونبلغك انه من حقك أن تستلم من يد ملكة  
الحب والجمال تاج الشرف الذى تستحقه شجاعتك  
بجدارة .

فانحنى الفارس بشدة ، ولكنه لم يجب . وصدحت  
الموسيقى . . ولوحت السيدات بمناديلهن الحريرية ،  
بينما اشترك الجميع فى الهتاف والتصفيق . وقاد  
الحكام الفارس الشارد الى قدم عرش ليدى رويننا ، وكان  
يبدو عليه عدم القدرة على المشى . وجعلوه يركع على  
ركبتيه ونزلت ليدى رويننا من فوق عرشها ، وهمت  
بوضع التاج على خوذته ، فصاح الحكام :

- يوضع التاج على الرأس ، فلا بد أن يحسر  
الفارس الخوذة عن رأسه . فتمتم الفارس ببضع كلمات  
ضاعت فى تجويف خوذته ، ولم يعر الحكام أى اهتمام

بما عبر عنه بعدم رغبته • وانتزعوا خوذته • فبدا وجه  
شاب جميل الملامح ، لوحته الشمس ، فى الخامسة  
والعشرين من عمره ، وقد علتة صفرة كصفرة الموت ،  
مع جرح أو اثنين مغطيان بالدم •

وما أن لاحظته روينا ، الا وأطلقت صيحة باهتة •  
وأجبرت نفسها على أن تواصل ، ووضعت التاج ، بيد  
ترتعش من الشجن ، فوق رأس الفائز الواهنة •

وطأطأ الفارس رأسه ، وقبل يد الملكة الحلوة ،  
ثم خر مغشيا عليه عند قدميها •

وحدث ارتباك عام • واندفع سدريك ، الذى  
ألجمته الصدمة بالظهور المفاجئ لابنه المنفى ، ولفريد  
ايفانهو ، وكأنه يريد أن يفرق بينه وبين روينا •  
ولكن الحكام كانوا قد سبقوا وأخذوه بعيدا • وفتحوا  
درعه فوجدوا رأس رمح قد نفذ من صدره وأحدث جرحا  
فى جنبه •





## الفصل الحادى عشر

### **الشیطان محررا !**

وعرف الجمهور أن الفائز هو ایفانهو . وطار اسمه من فم الى فم الى أن وصل الى سمع الأمير والواقفين حوله ، فقال :

- اعتقد ، بانى شعرت بحضور صديق اخى ، حتى عندما لم أستطع تخمين من هو داخل الدرع .

**وقال دى بارسى :**

- والآن على فرونت دى بواف أن يعيد أراضى ایفانهو .

**فقال والدمار :**

- أجل ، فمن الواضح أنه سيطالب بالقلعة والأراض التي أعطاها له ريتشارد ، والتي أعطاها الأمير جون بدوره لفرونت دي بواف .

**فاجاب الأمير جون :**

- ان فرونت دي بواف مستعد لابتلاع ثلاث قلاع ولا يتنازل عن واحدة منهم .

**فقال والدمار :**

- لقد آلمني أن أرى أسي ملكة الجمال ، وأنا لا يحركني حداد امرأة على حبيبها ، ولكن ليدي رويانا هذه . تحكمت في حزنها ، فلم أكتشفه الا من ضمة يديها ومن عينيها خاليتي الدمع اللتين كانتا مثبتتين عليه ، وهو أمامها فاقد الحس .

**فقال الأمير جون :**

- من هي ليدي رويانا ، التي سمعنا هنا عنها

كثيرا ؟



### فاجاب الراهب ايمر :

— انها ليدى سكسونية واسعة الغنى • زهرة  
فتنة وجوهرة ثراء •

### فقال الأمير جون :

— يمكننا أن نرفع عنها أحزانها بأن نزوجها  
لنورماندى • ما قولك يادى بارسى فى كسب أراضى  
واسعة بزواجك من سكسونية ؟

### فاجاب دى بارسى :

— اذا كانت الاراضى طيبة، فمن الصعب الا ترضينى  
مع العروس •

### فاجاب الأمير جون :

— لن ننسى ذلك ، فسنبدأ العمل على الفور ،  
بارسال أمر الى ليدى رويينا ومن معها لحضور وليمة  
المساء •

وكان آخر حدث فى المهرجان ، اختبار المهارة فى

الرماية . وقد اشترك ثمانية رجال فى هذه المسابقة للرماية من أجل جائزة ، عبارة عن بوق صيد مطعم بالفضة . ومعظم هؤلاء الرجال من أتباع البيت الملكى أو كانوا فى خدمة اللوردات النورمانديين ، ولكن كان بينهم أيضا رجل طويل يرتدى ملابس خضراء ، الذى كنا قد لاحظناه من قبل فى الزحام ، عندما كان اسحق يبحث عن مقعده .

**وقال الامير جون للرجل الطويل :**

— ما اسمك ؟

**فاجاب :**

— لوكسلى ، ولكنى لا أرغب فى الرماية ، لأنى لا أدرى اذا كان هؤلاء الرجال اعتادوا على الرماية على نفس العلامة مثل .

**فقال الأمير :**

— اذن ، يا لوكسلى ، سوف ترمى عندما يظهر هؤلاء الآخرون مهارتهم ، واذا فزت بالجائزة ، سأضيف

لها عشرين قطعة فضية ، ولكن ، اذا خسرت ، فستخسر  
بذلتك الخضراء وتجلد .

ووضعت العلامة ، وهى عبارة عن لوحة مستديرة ،  
رسمت عليها حلقات ، ومركز اللوحة مطلى باللون الذهبى  
ولهذا سعى بالذهب . وفى مركز الذهب كانت توجد  
نقطة بيضاء .

وتقدم الرماة واحدا تلو الآخر . ومن الأربعة  
وعشرين سهما التى أطلقوها ، عشر استقرت فى  
« الذهب » ، واثنان منها رماهما هربرت ، حارس  
الغابة الذى يعمل عند مالفويزون .

### وقال الأمير جون :

— والآن يا لوكسلى هل ترمى ضد هربرت ؟  
وأحضروا علامة رماية جديدة . وأصاب سهم هربرت  
الأول الذهب ، ولكن ليس النقطة البيضاء .

### فقال لوكسلى :

— لم تحسب حساب الريح يا هربرت .

وتقدم ورمى سهمه بلا مبالاة ، وكأنه لم يتطلع  
الى العلامة ، ولكن سهمه كان أقرب من سهم هربرت  
للمنطقة ببوصتين .

ورمى هربرت مرة أخرى ، وحسب حساب الريح ،  
فأصاب سهمه مركز العلامة .

فقال الأمير بابتسامة مهينة :

— لا يمكنك أن تضيف شيئا على هذه الرمية .

فقال لوكسلي :

— ومع ذلك ، سأكسر له سهمه .

ورمى سهمه بعناية أكبر من قبل ، فأصاب سهم  
هربرت ، وشقه نصفين .

فقال لوكسلي :

— والآن ، سوف أزرع مثل العلامة التي نعتاد  
عليها فى منطقتنا !



وقال لوکسلی : عاشق له سهمه !

ووضع عصا طولها حوالى ستة أقدام وفى عرض  
ابهام رجل ، وقال :

— ان من يصيب هذه العلامة من بعد مائة ياردة ،  
سوف اسميه نبالا جديرا بالرمى أمام الملك ريتشارد  
نفسه .

**فقال هربرت :**

— ان جدى اشترك بقوسه فى معركة هاستنيج ،  
ولم يصب مثل هذه العلامة فى حياته . . ولا أنا أستطيع  
واذا استطاع هذا الشخص أن يكسر هذا العود ،  
فأسلم له . واذا استطعت أن أصيب هذا العود الأبيض  
الذى لا أكاد أراه من هذه المسافة لاستطعت أن أصيب  
ورقة عشب أو شعاع شمس .

**فقال الأمير جون :**

— أيها الكلب الجبان ! هيا يا لوكسلى ، دعنى  
أرى رميتك ، ولكن اذا أصبت هذه العلامة ، فسأقول  
انك أول رجل فعل هذا .

## فقال لوكسلى :

— سأفعل ما فى وسعى ، ولا يستطيع أحد أن يفعل أكثر من ذلك .

وغير لوكسلى خيط قوسه ، ثم صوب فى حذر .  
وانتظر الناس فى صمت وأنفاسهم مجبوسة .. وطار سهمه ، وكسر العود شقين .

وهتف الناس عاليا ، حتى الأمير جون باعجابه بمهارة لوكسلى نسي كراهيته للرجل نفسه ، وقال :  
— لقد فزت بجداراة بالعشرين قطعة فضة وبوق الصيد هذا ، وسأجعلها خمسين قطعة اذا خدمت معى كواحد من حراسى الخصوصيين . لأنه لم تمسك يد قوية بقوس هكذا ، ولم توجه عين صادقة سهمها هكذا أبدا .

## فقال لوكسلى :

— اعذرنى ، أيها الأمير النبيل ، فلقد أقسمت انى لو خدمت ، فستكون خدمتى لصاحب الجلالة أخيك

الملك ريتشارد • وأعطى هذه القطع العشر لهربرت ،  
الذى رمى بسهمه الباسل كما فعل جده فى معركة  
هاستنج • ومن تواضعه رفض المحاولة ، والا لكان  
أصاب العود مثلى •

وهز هربرت رأسه ، لكنه قبل الهدية • أما  
لوكسلى ، فخوفا من أن يفشى مزيدا من الأخبار ، اختلط  
بالجمهور ، ولم يظهر بعد ذلك •

وأوشك الأمير جون أن يعطى الإشارة بانتهاء  
المهرجان ، وينسحب الجميع من الميدان ، عندما وضع  
رجل من حاشيته ورقة صغيرة فى يده ، فسأله :

— من أين أتيت بهذه الورقة ؟

**فقال الرجل :**

— من بلاد أجنبية ، ولكنى لا أدرى من أى بلد •  
لقد أحضرها رجل فرنسى ، وقال انه كان على سفر ليل  
نهار •



وفتح جون الورقة .. وظهرت مخاوفه ، وازدادت  
بعد قراءته للكلمات المدونة في الرسالة :

« خذ حذرك ، فالشيطان محرر ! »

وامتقع وجه الأمير واصفر واصفرار الموت . واعطى  
الرسالة لوالدمار ودى بارسى ، وأردف قائلا في صوت  
مرتعش :

- انه أخى ريتشارد ، لقد حصل على حرите !





## الفصل الثانى عشر

### مثل الأحمق

كان الوقت متأخرا ، عندما انتهت وليمة الأمير جون . وعاد والدمار الى قلعة أشبى . وفى بهو القلعة التقى بدى بارسى ، الذى غير ملبسه ، التى كان يرتديها فى الولىمة بملابس خضراء اللون ، مع غطاء جلدى للرأس ، وسيف قصير ، وبوق معلق فوق كتفه .

### فقال والدمار :

— ما هذه الحماقة يا دى بارسى ؟ أهذا وقت

لتمثيل مسرحيات ، وقدر اميرنا جون يتعرض للخطر  
.. ماذا تقصد بتخفيك في هذه الملابس الحمقاء في  
وقت خطير كهذا ؟!

**فاجاب دى بارسى بيروود :**

— ان قصدى هو الحصول على زوجة .

— انى لا أفهمك !

— سوف اهاجم هؤلاء السكسونيين الذين غادروا  
القلعة الليلة ، وافوز منهم بروينا الجميلة .

**فقال والدمار :**

— هل أنت مخبول ، يا دى بارسى ؟ بالرغم  
من أنهم سكسونيون الا أنهم أغنياء واقوياء .

— انا لا اقصد أن ادعهم يعرفون من أنا . الا أبدو  
في هذه الملابس مثل الخارجين على القانون ، أهل  
الغابة ؟ ان اللوم سيقع عليهم . وبعد ذلك ، سأظهر  
في شكلي العادى ، والعب دور الفارس الرحيم ، وانقذ  
الجميلة سيئة الحظ من براثن اعدائها الوقحين .

وسأخذها الى قلعة فرونت دي بواف أو الى فرنسا ،  
ولا أظهرها الا بعد أن تصبح زوجة موريس دي بارسى .

### فقال والعمار :

— خطة رائعة حكيمة ! من ساعدك فى اختراع  
ذلك ؟ ومن سيساعدك فى تنفيذها ؟

— اذا كان ولا بد أن تعرف ، فهو الراهب بريان  
دى بواجلبرت . فسيمثل هو واتباعه دور الخارجين على  
القانون ، الذى سوف انتشل منهم ، بعد ما أغير  
ملابسى ، فتأتى الحسناء .

— ولكن كيف ستنتشلها من يد بوا جلبرت ؟

### فاجاب دى بارسى :

— انه راهب هيكل ، ولذلك لا يستطيع الزواج  
انى اتقدم مثل فارس حقيقى للفوز بابتسامات  
الجمال .

### فكرر والعمار قوله :

— مثل فارس حقيقى ، أم مثل الأحق ؟!

★★★



## الفصل الثالث عشر

### الفارس الأسود والناسك

لا يمكن أن يكون القاريء قد نسى أن نتيجة  
المهرجان قد حسمها ما صنعه الفارس الأسود المجهول .  
• لقد ترك هذا الفارس الميدان فور الفوز بالنصر .  
وشق طريقه نحو الشمال عبر ممرات فى الغابات  
لا تستخدم كثيرا .

وبعد الليلة الثانية من رحلته ، احتاج هو وجواده  
للراحة ، ومن الضروري أن يجد مكانا يقضى فيه  
ليلته .

لقد غاصت الشمس وراء التلال ، التى على يساره ، وهو متوغل فى الغابات . وبعد سيره فى دروب كثيرة ، بدأ الدرب الذى اتخذه يتسع قليلا ويزداد وعورة . وجعله صليل جرس يفهم أنه بجوار منسك للعبادة . وبعد قليل ، وصل الى أرض مكشوفة خضراء كثيرة العشب ، وعلى الجانب المقابل صخرة كبيرة ، وفى أسفلها يستند عليها كوخ شظف المظهر ، مبنى من جذوع الشجر وشقوقه محشوة بالطين ، وعلى بعد قليل من يمينه نافورة ماء نقى تتدفق من صخرة ، ويستقبلها حجر مجوف . وبجوار هذه النافورة أطلال أعمدة وبواك تصارع الزمن ، وتدل على وجود كنيسة صغيرة فى يوم ما . وتمدد المشهد متألثا فى نور الشفق أمام عيني المسافر ، فأعطاه أملا فى المبيت والراحة .

وترجل عن جواده ، وطرق باب المنسك برمحه .  
فجاء صوت خفيض من داخل الكوخ :  
- امضى أيها الطارق ، ولا تقطع على صلاتي ...  
امضى !



فقال الفارس :

- ايها الأب الجليل ! ما أنا الا هائم ضل الطريق  
فى هذه الغابات ، وفى حاجة الى طعام وفراش لهذه  
الليلة .

فاجابه الناسك :

- ايها الأخ الطيب . ليس عندى طعام حتى  
لكلب يشاركنى فيه ، وفراشى يزدرىه أى جواد أصيل .  
لهذا اذهب لحال سبيلك . . . . . وامضى !

فقال الفارس :

- أرجوك ، ايها الأب ، على الأقل افتح لى الباب  
ودلنى على الطريق !

فاجاب الناسك :

- وأنا أتوسل اليك ، ايها الأخ ، الا تزعجنى  
أكثر من ذلك . لقد افسدت على أربع صلوات يجب أن  
أرتلها قبل بزوغ القمر . واذا أجبرتني على استخدام

أسلحة أهل الأرض للدفاع عن نفسى ، فسيكون أصوا  
شئ لك .

### فصرخ الفارس :

- الطريق ! الطريق ! اما أن تفتح الباب بسرعة  
والا سأحطمه .

وأخذ يضرب الباب بقدمه بشدة .

- الصبر ، وسأفتح الباب ... بالرغم من أن  
هذا لن يسرك .

وانشق الباب عن ناسك ينسدل غطاء رأسه على  
وجهه فيخفيه تماما ، ضخم قوى البنية ، يسد الباب  
أمام الفارس ، وفى يده نبوت ثقيل ، ويمسك فى يده  
الأخرى كلبين على أهبة الاندفاع على المسافر . ولكنه  
عندما رأى ضخامة الفارس المتخفى داخل درعه وهيئته  
الرهيبة ، غير نبرته الى نبرة مؤدبة ، وسمح له بدخول  
الكوخ .

لا يوجد فى الداخل سوى سرير من أوراق الشجر ومائدة ومقعدين خشنيين . وجلس الرجلان يتطلعان الى بعضهما البعض كل من خلال حجابيه ، وكل يجول بفكره ، أنه لم ير اقوى من الجالس أمامه الا نادرا .

### فقال الفارس :

- ايها الناسك الجليل ، ياليتنى أعرف ثلاثة أشياء من فضيلتكم : أولا ، أين أضع جوادى ؟ ثانيا ، ماذا يوجد للعشاء ؟ ثالثا ، أين انام الليلة ؟

### فقال الناسك :

- سأجيبك باصبعى ، لأنى نذرت الا أكلم انسيا عندما تصلح الاشارة .

وبدا يشير الى أحد اركان الكوخ ، بما معناه : « مكان جوادك هناك » . وأشار الى ركن آخر ، بما معناه « سريرك هناك » . وتناول صحن فيه قبضتان من الفاصوليا الجافة ، بما معناه « عشاؤك هناك » .

وبعدما رتل صلاة طويلة باللغة اللاتينية على هذه

الوليمة ، ضرب المضيف مثالا ليحزو الضيف حزنه ،  
 فتناول أربع حبات من الفاصوليا بتواضع ، ووضعها  
 في فمه الواسع جدا ، المزود بأسنان قوية وبيضاء  
 كأسنان الذئب ، فبدت كزاد هزيل لمطحنة واسعة  
 قوية . وخلع الفارس درعه وخوذته ، كاشفا عن شعر  
 أصفر متجعد كثيف ، وملامح رقيقة ، وعينين فوارتين  
 وضائتين . . ولما رأى الناسك ضيفه قد كشف عن  
 وجهه ، رفع هو أيضا من على وجهه غطاء رأسه . ولم  
 تنم ملامحه عن شظف حياة ناسك . بل كان وجهها  
 حسن الشكل ، وخدين مستديرين حمراوين . وينبىء  
 قويا جسورا ، مع حاجبين عريضين سوداوين ، وجبين  
 مثل هذا الوجه مع هذا البنيان المتين عن لحم جيد  
 وطعام مغذى ، وليس هذه الحبات من الفاصوليا . لاحظ  
 الضيف هذه الخصوصية . وبعد أن ازدرد ، وبصعوبة  
 بالغة ، هذا المقدار الضئيل من الفاصوليا الجافة ، وجد  
 من الضروري أن يطلب من رجل الدين أن يزوده بأى  
 شراب ، فأجابه على طلبه ، بقدر كبير من ماء النافورة .

ورفع القدر الى شفتيه وارتشف رشفه صغيرة حذرة  
لا يمكن أن تتوقع بعد ثنائه عليها ، **وقال :**

- انها من بئر القديس دونستان • بارك الله في  
اسمه •

### **فقال الفارس :**

- يلوح لي ان هذا الطعام البسيط الذي تاكله ،  
جعلك سميناً قوياً بشكل عجيب • انك تبدو كرجل  
يفوز في قتال بالهراوات أو بالسيوف أكثر من رجل  
يتخلى عن عصره ، ويعتكف في هذا المكان النائي يرتل  
الصلوات ويعيش على حبات الفاصوليا الجافة والماء  
البارد •

### **فاجاب الناسك :**

- سيدي الفارس ، ان هذه الكلمات تقشى جھلك  
لا أكثر • فهذا الطعام البسيط الذي الزم نفسي به  
باركه القديسون •

- أيها الأب التقى ، الذى أجرت السماء هذه  
المعجزة على وجهه ، اسمح لرجل آثم أن يسأل عن  
اسمك .

### فاجاب الناسك :

- أنا توك ويمكنك أن تناديني بكاهن كوبما  
نهورست ، كما ينادوننى هنا - انهم يضيفون ، وهذا  
حقيقى ، كلمة « الورع » ... ولكننى لا أصر عليها لأنى  
لا استحقها . والآن ، أيها الفارس الشجاع ، هل أحظى  
بمعرفة اسم ضيفى الفاضل ؟

### فاجاب الفارس :

- فى الحقيقة ، يا كاهن كوبما نهورست الورع ،  
الناس ينادوننى هنا بالفارس الأسود وكثيرون يا سيدى  
يضيفون كلمة « الخامل » ، ولكفى لست شغوفاً بهذه  
التسمية ، ولا أصر عليها ...

ومنع الناسك نفسه من الضحك على اجابة ضيفه  
بمد جهد كبير ، وقال :

- ارى انك يا سيدى الفارس الخامل رجل حكمة  
وحكمة ، وعلاوة على هذا ، ارى أن حالتى الفقيرة ،  
لا ترضيك ، لتعودك على حياة رغدة هينة . والآن ،  
اتذكر ، يا سيدى الأخ الخامل ، أن حارس هذه الغابة  
الكريم ، عندما ترك لى هذين الكلبين لحمايتى ، ترك ،  
أيضا ، بعض الطعام ، ولكونه لا يصلح لى ، غاب عن  
خاطرى . . . لأن عقلى تشغله أفكار أخطر .

### فقال الفارس :

- أيها الكاهن الورع . لقد كنت مقتنعا ، منذ  
كشفت غطاء رأسك ، بأنه يوجد طعام أفضل فى هذا  
الكوخ . ان حارسك انسان لطيف ، ولم يتحمل أن  
يرى أسنانك القوية تطحن تلك الحبات الجافة من  
الفاصوليا ، أو يملأ حلقك بهذه المياه المنفرة . دعنى  
ارى ما جاد به الحارس بدون ابطاء .

ورمى الناسك على الفارس بنظرة شك ، وكأنه  
غير مطمئن الى أى مدى يمكنه بحكمته أن يثق فى ضيفه .  
ومع ذلك ، كانت النزاهة واضحة على ملامح الفارس

بشكل كبير . وكانت ابتسامته ، أيضا ، بها شيء مثير  
للضحك بشكل لا يقاوم ، وتعطى تأكيدا على الاخلاص  
والوفاء .

وبعد نظرة خرساء أو نظرتين ، ذهب الناسك الى  
الطرف البعيد من الكوخ ، وفتح بابا مخفيا بحرص  
وبراعة . وأحضر من داخل هذا المخبأ صحننا ضخما من  
اللحم . ووضع أمام ضيفه ، الذى لم يتوان فى  
تذوقه .

وقال الفارس لمضيفه ، بعد ما ابتلع عدة هبرات  
من طعام الناسك الممتاز :

— متى كانت آخر مرة حضر فيها الحارس الطبيب  
الى هنا ؟

فاجابه الناسك بعجلة :

— منذ شهرين تقريبا .

فقال الفارس :

— ألاحظ ان كل شيء فى منسكك خارق للعادة ،



أيها الكاهن الورع ! لاني قد أقسم على أن هذا الغزال  
السمين الذي آكله ، كان يركض على قدميه منذ أيام  
فقط .

وظهر على الناسك بعض الاضطراب عند سماعه  
لهذه الكلمات . علاوة على ذلك ، ظهر عليه الحزن  
عندما حمله في طبق الطعام المتناقص ، الذي كان وجبة  
ممتازة لضييفه . . . . . وجبة لا تسمح شخصيته المتنسكة  
أن يشارك فيها .

### وتوقف الفارس فجأة وقال :

- لقد كنت في فلسطين ، واذكر عادة هناك ،  
بان كل مضيف يكرم ضيفه ، يؤكد على سلامة طعامه  
بتناول جزء منه هو نفسه . وأنا لا يخطر ببالي مجرد  
شك في رجل بهذه التقوى أن يتسبب في أى شيء يؤذي  
ضيفه ، الا أنني سوف أكون ممتنا لك اذا امتثلت لهذه  
العادة الشرقية .

### فقال الناسك :

— سوف اقلع عن التزامى ولو لمرة واحدة ،  
ولاطمئنك واريح بالك .

• وتوغلت يدها فى الصحن على الفور .

### وقال الفارس :

— ايها الكاهن التقى ، اود ان أقسم بأن الحارس  
الشريف نفسه ترك لك بعض النبيذ كمصاحب لهذه  
الوجبة الممتازة .

فاجاب الناسك بابتسامة فقط ، ثم اخرج زجاجة  
كبيرة وكاسين من مخبأ آخر . ولاحظ الفارس ، الذى  
كان يراقبه ، بعض النبال والاقواس ، وكذلك آلة  
هارب ، فى نفس المخبأ ... فقال له :

— ارى هناك سلاحا ، اود بكل سرور ان أجرب  
مهارتى عليه معك .

وانحنى واخرج آلة الهارب ، وعلق قائلا :

— لاحظ فيها وترا ناقصا .

**فقال الناسك :**

— آه ، ان هذا يدل على أنك فنان .

**ثم اضاف وهو يصب النبيذ ، ويرفع بصره الى**

**أعلى :**

— هو النبيذ ، كله بسبب النبيذ . لقد قلت

لانى ادال بأنه سيتلف الهارب اذا لمسه بعد كأسه

السابع من النبيذ ، ولكنه لم يستطع أن يقاوم ...

صديقى ، انى أشرب لأدائك الناجح ، وعزفك الشجى .

وازداد هزلهم سرعة وهياجاً ، وانشد كل منهما

العديد من الأغاني . ثم توقف مرهما على طرقات عالية

على باب المنسك .

ويمكن تفسير مناسبة هذه الطرقات ، بالكشف

عن مقامرات مجموعة أخرى من شخصياتنا .

★★★



## الفصل الرابع عشر

### الجميع أسرى !

عندما رأى سديريك الساكسونى ابنه ، ايفانهو ،  
يقع مفشيا عليه فى ميدان المباراة فى آشبى ، تحركت  
عاطفة الابوة فى صدره . وهم بأن يصدر أمره للخدم  
ليهتموا به . ولكن الأمر لم يصدر أبدا . وشق عليه  
أمام هذه الجماهير من الناس أن يعترف بابنه الذى كان  
قد تبرأ منه وطرده من بيته . ومع ذلك ، أمر أزوالد  
أن يحمل ايفانهو الى آشبى ، عندما تنفض الجماهير .

وتفرقت الجماهير ، ولكن لم يعثروا لايفانهو على  
أثر . لقد رأى أزوالد بقع الدم التى نزفت منه فى

موضع سقوطه ، أما هو فقد اختفى ، وكان الجنيات قد طرن به . وفجأة وقع بصره على شخص فى ملابس خادم لأحد الفرسان . واستطاع أن يتعرف عليه ، من ملامح وجهه . انه جورث ! فأمسك به ، ولم يستدل منه على شيء ، ثم سأل عنه جميع المارة وألح فى السؤال ، فعلم أن الفارس ايفانهو قد نقلته إحدى الخادعات فى مركبة أنيقة ، تخص سيدة من بين المتفرجات ، وسارت به . انها ، فى الحقيقة ، ريكا اليهودية ، التى تولت أمر العناية بالفارس المصاب ، ولكن لم يعرف أزوالد هذه الحقيقة .

ورفضت ليدى رويانا الذهاب الى مادبة الأمير جون ، ولكنها ستنتظر عمها فى دير القديس وتولد . وهكذا لبى سدريك الدعوة وحده . وعند عودته كان سى المزاج للغاية ، وتصادف أن وقعت عيناه فى الطريق ، لأول مرة ، على الهارب جورث ، فصاح قائلاً :

— انت يا أزوالد ! وأنت يا هندبرت ! كيف تتركون هذا اللعين حراً بلا قيد ؟

فقيد الخدم يدى جورث بحبل وجدوه معهم .

**فقال جورث :**

- أهكذا ! وأنا الذى أحب من هو من لحمك ودمك  
أكثر من نفسى التى بين جنبى !

**وقال سدريك :**

- الى الجياد ، هيا !

وجدت القافلة فى السير لتصل الى دير القديسى  
وتولد ، حيث سيتناولون العشاء ، الذى شاركهم فيه  
روينا . وقسم لهم الراهب ، وكان سكسونيا ، عشاء  
فاخرا ، ولم يغادروا الدير الا فى صباح اليوم التالى .  
وبعد قطعهم مسافة لا بأس بها ، وصلوا الى نهاية  
منطقة الغابات ، التى تعتبر خطرا فى ذلك الوقت ،  
بسبب أعداد الخارجين على القانون الذين يحتلونها .  
ومع ذلك ؟ وبالرغم من الساعة المتأخرة من الليل ،  
فكر سدريك أنه فى أمان مع اثلستين وروينا ، حيث

يرافقهما عشرة من الخدم ، بالإضافة لوامبا وجورث  
المكبل بالحبال .

وبينما كانت القافلة تجد في المسير ، طرق  
مسانعهم صيحات متكررة تطلب المساعدة . فتوجهوا  
الى مصدر هذه الصيحات ، فشاهدوا مركبة واقفة ،  
وبجانبيها فتاة ترتدى ثيابا يتجلى فيها الزى اليهودى .  
ورأوا الى جانب الفتاة رجلا عجوزا يفرك يديه لهفة  
وحسرة . وكانت قلنسوته الصفراء التى على رأسه ،  
تدل على انه يهودى ، أيضا .

كان الرجل هو صديقنا القديم اسحق يورك ،  
الذى استطاع بعد فترة أن يشرح ظروفه ، بأنه قد  
استاجر فى آشبي ستة رجال ليحرسوه ، ومركبة  
وجياد لينقلوا فيها صديقا جريحا . ولقد وصلوا الى  
هنا فى امان ، غير انهم لم يكادوا يصلون هذه المنطقة  
الا وأخبرهم قاطع أخشاب بوجود عصابة قوية من  
الخارجين على القانون يتربصون فى الغابات أمامهم .  
فهرب الرجال الستة وأخذوا معهم الجياد التى كانت



تجر العرب ، وتركوا اليهودى وابنته والجريح لينقض  
عليهم اللصوص ، وقد يفتالونهم .

### واضاف اسحق قائلا :

— هل تفضلون بتأمين سفرنا معكم .

كان سدريك على وشك أن يرفض . عندما ركعت  
رييكا أمام ليدى دوينسا ، وقبلت طرف رداؤها ،  
وتوسلت اليها باسم الله أن يشفقوا عليهم ويسمحوا  
لهم بأن يكونوا فى معييتهم وتحت حمايتهم . وقالت  
رييكا :

— اننى أبتهل اليكم ، لا من أجل ولا من أجل هذا  
الشيخ المسكين ، بل من أجل عزيز على كثير من الناس ،  
وعزيز حتى عليكم ، فأرجوكم أن تحملوا هذا الجريح  
المريض ، وتشملوه بمعطفكم ورعايتكم . وإذا أصيب  
بمكروم فستقضى العمر كله فادعة حزينة .

فأثرت رييكا بنبرتها النبيلة الوقورة ، التى أدت

بها توسلاتها على الفتاة السكسونية الجميلة . فقالت  
سدرىك .

- دعهم يأتوا معنا ، فالرجل كبير فى السن ولا  
حول له ولا قوة ، والفتاة صغيرة وجميلة ، وصديقهما  
مريض ، ويوجد خطر على حياته .

وافق سدرىك على أخذهم ، فقطروا وراءهم بعض  
الخيول الى المركبة وساروا . ولذلك أنزلوا جورث  
السجين من على جواده . وأثناء ذلك ، حرض وامبا أن  
يفك الحبل الذى يقيد ذراعيه قليلا ، وبعدها استطاع  
أن يفلت ، وهرب منهم جميعا .

وأعادوا ترتيب الأمتعة وسار الركب ثانية .  
وكان الدرب ضيقا ، لا يتسع لأكثر من اثنين . وبدأ  
ينحدر الى وادى يخترقه غدير ماء متكسر الضفاف التى  
تنمو عليها شجيرات وفيرة ، ورأى سدرىك ، وكذلك  
اثلستين اللذان كانا فى مقدمة الركب الخطر المحدق  
بهم فى هذا المكان الضيق لو هوجموا ، فأسرعوا للخروج  
من هذا المازق . فما كادوا يعبرون الغدير حتى أحاط

بهم المهاجمون من المقدمة ومن المؤخرة . ولم يستطيعوا  
أن يقوموا بأى مقاومة .

وأصبح الجميع أسرى ما عدا وامبا ، الذى خطف  
سييفا من أحدهم وحاول أن يطلق سراح سييده . ولكنهم  
تكتلوا عليه ، فلاذ بالفرار متواريا وراء الشجيرات .

وما أن ابتعد ، المهرج الشجاع ، ووجد نفسه فى  
بر الأمان ، الا وبدأ يفكر فى العودة ويشارك سيده ،  
الذى يحبه فى الأسر . وقال :

- سمعت الناس يتحدثون عن بركات الحرية .  
وهانذا أود من أى رجل حكيم أن يعلمنى ماذا أفعل بها  
بعد أن حصلت عليها .

وإثناء اختفائه ناداه صوت قريب منه :

- وامبا !

فاجاب :

- جورث !

وظهر راعى الخنازير امامه فى الحال ، وقال :

— ما الخبر يا وامبا ؟

— سيدى وسيدتى والجميع أسرى ٠٠٠ أسرى  
لرجال يرتدون الملابس الخضراء .

**فقال جورت :**

— اسمع يا وامبا ، أرى فى يدك سيفاً ، وأعرف  
أن لك قلباً شجاعاً . ونحن اثنان فقط ، ولكن هجوما  
مباغتاً من رجلين لهما عزيمة قوية لابد أن تفعل الكثير .  
هيا ، اتبعنى .

وعندما أوشك المهرج على الموافقة ، برز لهما رجل  
نالت . ومن ملابسه اعتقد وامبا أنه أحد الخارجين على  
القانون ، الذين هاجموا سيده . ثم تعرف عليه ،  
بالرغم من ضوء الشفق الخافت ، فما كان الا لو كسلى  
الذى فاز بجائزة الرماية فى المهرجان : **فقال :**

— ما معنى كل هذا ؟ ومن يجرو أن يأسر أحدا  
أو يسرق فى هذه الغابة ؟

فقال وامبا :

- يمكنك أن ترى ملابسهم • ليست هي ملابس  
عشيرتك ، فهم يلبسون مثلك تماما •  
- سأعرف في الحال • امكثا في مكانكما حتى  
أعود •

وعاد لوكسلي بعد قليل ، وقال :

- لقد دخلت بين هؤلاء الرجال ، وعرفت من أين  
هم ، وإلى أين هم ذاهبون • ومن الجنون لو هاجمناهم  
نحن الثلاثة فقط ، ولكني آمل أن أجمع قوة تساعدنا  
على انقاذ الأسرى فسديريك الساكسوني لن تعوزه  
الأيادي الانجليزية لتساعده في محنته •  
وسار عبر الغابة بخطى واسعة يتبعه المهرج  
وراعى الخنازير •

★★★



## الفصل الخامس عشر

### جماعة الخارجين على القانون

بعد مسيرة ثلاث ساعات ، وصل لوكسلي مع رفيقيه الى منطقة خالية من الاشجار في الغابة الكثيفة ، وكانت في وسطها شجرة سنديان ضخمة ، يرقده تحتها حوالي خمسة رجال في ملابس خضراء ، وكان هناك رجل آخر يقوم بالحراسة .

فلما سمع وقع اقدام ، اعطى انذاره في الحال . فهب الراقدون واقفين وشرعوا اقواسهم تجاه القادمين ، غير انهم ما كادوا يتبينون لوكسلي حتى عرفوا فيه رعيهم فقابلوه بالترحاب والاحلال .

**فكان اول سؤال له :**

— اين ميلر ؟ .

— فى الطريق الى روترهام مع ستة رجال مع أمل  
فى جائزة .

**فيسأل لوكسلى :**

— واين الان اديل ؟

— اتجه الى شارع والدنج للبحث عن راهب  
جورفولكس .

**فأجاب الزعيم :**

— انها فكرة طيبة ، واين الراهب توك ؟

— فى كوخه الذى فى كوبمانهرست .

**فقال لوكسلى :**

— سأذهب الى هناك . أما أنتم فتفرقوا ، واجمعوا  
أكبر عدد ممكن من الرفاق ، وعودوا . قبيل انبلاج



الفجر ، وليذهب اثنان منكم بسرعة الى توركويلسنون ،  
حيث قلعة فرونت دى بواف . ان بعض اللوردات  
الشبان تنكروا بزينا ، واسروا جماعة وتوجهوا الى  
هناك . فشرطنا فى خطر ، ويجب ان نعاقبهم .

وتابع لوكسلى مع رفيقيه طريقهم الى منسك  
كوبمانهرست .

**فلما اقتربوا همس وامبا لجورث قائلا :**

- هل تسمع الصلوات التى يرتلونها فى المنسك؟

وكان الناسك وضيغه ، فى الحقيقة ، يغنون  
اغانى السكارى . فطرق لوكسلى الباب طرقا عاليا  
ومتكررا ، فتنبه الناسك وضيغه أخيرا . فأسرع  
الفارس وسلح نفسه ، بينما أسرع الناسك فى ازالة  
أثار المادبة .

**وجاء صوت من الخارج :**

- أيها القسيس المجنون ! افتح أنا لوكسلى !

فقال الناسك لرفيقه :

- لا تخف ، كله تمام .

وفتح الباب . فقال لوكسلي :

- لماذا ، أيها الناسك تسمح لفارس لا تعرفه بالدخول ؟ هل نسيت الوعود التي بيننا ؟ أترك تراثي لك هذه وسلح نفسك ، اننا في حاجة لكل رجل من رجالنا حتى المرحين والسكراري .

وأسرع الناسك بخلع مسوحه ، وارتدى ثوب القباة الأخضر . واثناء ذلك أخذ لوكسلي الفارس على جنب ، وقال له :

- انك أنت الذي حسمت النصر لصالح الانجليز في اليوم الثاني من المباراة . لا تنكر هذا ، يا صيني الفارس .

فقال الفارس :

- وماذا يحدث اذا صدق حديثك ؟

- عندئذ أناشدك أن تكون صديقا لنصرة  
الضعيف . لقد تظاهر رجال أشرار باناس أفضل  
منهم ، وأسروا النبيل الانجليزى ، سيدريك  
الساكسونى ، وليدى روينيا ، وصديقه اثلستين ،  
واخذوهم الى قلعة فى هذه الغابة ، تدعى توركويلستون .  
انى أسألك كفارس مقدام وكرجل انجليزى طيب ، هل  
ستساعدنا فى تحريرهم ؟

### فاجاب الفارس :

- انى مرتبط بقسمى للفروسية أن اهرب الى  
نصرة الضعيف ، ولكنى أود أن أعرف من تكون ، يا من  
تطلب مساعدتى ؟

### فاجاب الزعيم :

- أنا رجل بلا اسم ، ولكنى أحب بلادى ، وأحب  
كل من يحب بلادى . واكتفى الآن بهذا الجواب ،  
خصوصا وانت تريد أن تظل مجهولا أيضا .

### فقال الفارس :

- لن ألقى عليك بمزيد من الأسئلة ، وسوف

أساعدك على إطلاق سراح هؤلاء الأسرى • وعندما يتم ذلك ، سوف نعرف بعضا أفضل •

وكان الناسك قد انتهى تماما من ارتداء ملابسه فأصبح عملاقا من رجال الغابة ، مع سيفه ، وقرسه ، وقوسه ، وسهامه •

**وقال لوكسلي :**

— هيا أيها الناسك ، هيا بنا جميعا • يجب أن نجتمع كل قواتنا ، وسيكون لدينا ما يكفى من الرجال ، إذا سيطرنا على قلعة فرونت دى بواف •

**فقال الفارس الأسود :**

— ماذا اسمع ! هل هو فرننت دى بواف الذى هاجم أتباع الملك فى طريق الملك نفسه ؟ هل تحول الى لص ؟

**فقال الناسك :**

— لص ١٩ •• ان اللصوص الذين أعرفهم أفضل منه بكثير !

\*\*\*

## الفصل السادس عشر

### عند قلعة توركويستون

أسرع الرجال المسلحون ، الذين قبضوا على سدريك ورفاقه . ولكن حل الظلام وظهرت دروب الغابة المتشعبة ، التى ليس لهم بها دراية . وضلوا طريقهم عدة مرات ، وانتهى نهار الصيف الطويل ، قبل تأكدهم من الدرب الصحيح .

وقال بوا جلبرت لدى بارسى :

— حان الوقت الذى تغادرنا فيه ، فهذا دورك

لنتلعب فيه الفارس المنقذ .

### فقال دى بارسى :

— لقد غيرت رأى . لن أتركك حتى تكون  
الجائزة آمنة فى قلعة فرونت دى بواف . عندئذ  
سأظهر أمام ليدى رويننا بشخصى ، وأنا واثق انها  
سترى كل أفعال التى أذنبت فيها ، ما هى الا من  
منطلق حبي الجارف .

### فاجاب بوا جلبرت ، فارس الهيكل :

— وماذا غير خطتك ؟ أرجو الا تكون شكوكك  
هى السبب !!

### فاجاب دى بارسى :

— ان افكارى لنفسى ، فالشيطان يقهقه ضاحكا  
عندما يرى لصا يسرق من زميله .

### فقال فارس الهيكل :

— فلتسمع الحقيقة ، اذن . أنا لا أعبا بفتاتك  
الجميلة ذات العيون الزرقاء . أما بالنسبة لنقود

اسحق . فسأقتسمها مع فرونت دى بواف ، الذى لن يعيرنى الاستفادة بقلعته بدون مقابل . كما أننى حددت جائزتى الخاصة فى اليهودية الفاتنة .

واستمروا فى سيرهم ، حتى رأوا توركويلستون ، قلعة فرونت دى بواف .

فنفخ دى بارسى فى بوقه ثلاث مرات . وأسرع الرجال الذين كانوا عند الجدار بانزال الجسر المتحرك ، وسمح لهم بالدخول . واقتادوا الأسرى الى حجرة قدموا لهم فيها وجبة سريعة ، لم يأكل منها أحد سوى اثلستين . وأخبرهم الحراس بأن رويانا ستحبس فى حجرة بعيدة عنهم وكانت المقاومة عبثا لا يجدى . وأجبروهم للدخول فى حجرة أوسع بها أعمدة عريضة . أما ليدى رويانا فقادوها الى حجرة نائية .

أما اليهودى العجوز فلقد سحبوه الى اتجاه مختلف عن بقية المسجونين ، بالرغم من أنه عرض مبالغ كبيرة من المال حتى تظل زبيكا معه . ولكنهم قادوا زبيكا الى مكان آخر .





## الفصل السابع عشر

### شجاعة ربيكا

سيقت ربيكا الى حجرة صغيرة فى برج نائى من القلعة . فوجدت نفسها مع امرأة عجوز تتمتع بلهجة سكسونية وهى تعمل فى منزلها .

فقال احد الرجال :

- يجب أن تخرجى أيتها العجوز . لقد أمر سيدنا بذلك . فلتتركى هذه الحجرة لضيفة أكثر جمالا .

فالت المرأة العجوز :

- أه ، فى يوم ما كانت كلمة منى تلقى أفضل  
حارس فيكم خارج القلعة كلها . أما الآن فأنا التى  
تخرج بأمر من أى خادم مثلك !

**فقال الرجل :**

- أولريكا ، أيتها المرأة الطيبة ، لا تجادلى وهيا  
للمخارج ، لقد عشت يومك ، ولكن شمسك قد غربت  
من زمن بعيد .

**فقالت المرأة العجوز :**

- فليتبّعك الحظ السيء ! ولتدفن مثل الكلب !  
وليمزق الشيطان أوصالك اذا تركت هذه الغرفة قبل  
أن أنتهى من غزلى .

**فقال الرجل :**

- فلتدفعى ثمن هذا لسيدنا .  
وانسحب تاركا ربيكا فى صحبة المرأة العجوز .

**فقالت المرأة العجوز وهى تنظر لربيكا :**

- انه عمل شيطاني يدبرونه الآن ؟ ولكن هذا سهل معرفته ... العيون ذكية ، والشعر أسود ، والبشرة مثل صفحة الورق ، من السهل معرفة سبب ارسالها الى هذا البرج المنعزل . اجنبية ايضا ! من أى بلد أنت ؟ ... لماذا لا تجيبين ؟ مع انك تبكين ! فلماذا لا تتكلمين ؟

**فقالت ربيكا :**

- أرجوك ارحميني ، وأخبريتى ماذا هم بي فاعلون ؟

**فاجابت المرأة العجوز :**

- انظرى الى . كنت فى يوم ما صغيرة ، وأجمل منك مرات ، عندما أسر فرونت دى بواف الأب هذه القلعة ودافع عنها أبى وأخوتى السبعة من غرفة الى غرفة ... ماتوا ، كلهم ... وبقيت أنا مسخرة المنتصر .

**فقالت ربيكا :**

- الا يمكن الفرار ؟

**فقالت المرأة ، وهي تهز شعرها الأشيب :**

- من هنا ؟ لا يمكن الفرار الا عن طريق

الموت ... لقد انتهيت من غزلى ، ومهمتك لم تبدأ  
بعد .

وغادرت الحجرة بضحكة ساخرة وأوصدت الباب

خلفها .

كانت ربيكا تتمتع بصفاء ذهن طبيعي ، وشخصية

قوية لماحة . وتطلب الوضع الحالى شحذ كل قواها .

فقامت أول الأمر وفتشت الحجرة ، فلم تعثر فيها على

أى باب أو ممر سرى . وكانت النافذة الوحيدة فى

أعلى البرج . وترتفع مئات الأقدام من الساحة السفلية .

وسمعت وقع أقدام على السلم . وفتح الباب

بيبطة ، ودخل رجل طويل فى ملابس الخارجين على

القانون . وكان غطاء رأسه مسحوبا على وجهه لاخفائه .

وخلعت ربيكا بسرعة احدى مجوهراتها الثمينة

التي ترتديها حول عنقها ، وقدمتها للرجل ، وقالت :

— خذ هذه ، أيها الرجل الطيب ، وكن رحيما  
بى وبأبى المسن .

**فاجاب الخارج على القانون باللغة الفرنسية :**

— أيتها الزهرة الجميلة ، ان هذه اللآلىء جميلة ،  
لكنها لا تقارن ببياض أسنانك ، وهذه الجواهر براقه ،  
ولكنها لا تقارن ببريق عينيك .

**فقالت ريكا بنفس اللغة :**

— انك لست خارجا على القانون . انك نورماندى ،  
ربما نبيل من النبلاء . أوه ، كن نبيلاً أيضاً فى  
أفعالك .

**فقال بوا جلبرت كاشفا عن وجهه :**

— ان حذسك فى محله . اننى لست بخارج على  
القانون . ولكنى رجل يريد أن يطوق عنقك وذراعيك  
باللآلىء والجواهر لا أن يأخذها منك . انك أسيرة  
قوسى ورمحى ، وقابعة لارادتى . استسلمى لقدرك ،  
وسترفلين بالجلال وتنعمين بالجمال الذى تغنطك عليه  
أية أميرة نورماندية .

## فقلت وبيكا :

- استسلم لقدري ! أيها الفارس الجبان ! انى  
أحتقرك ! ان وعد اله ابراهيم قد فتح باب النجاة  
لابنته ... حتى من هذا العار !

واستطاعت أثناء حديثها أن تفتح النافذة ،  
وانطلقت منها لتقف على حافة البرج ، حيث لا يفصل  
بينها وبين السقوط شيء ، وقالت :

- خطوة واحدة وسأقفز من هذا الارتفاع .  
وسيصبح جسدى حطاما بشريا فوق أحجار القلعة ،  
ولا أستسلم لك أبدا .

توقف الفارس الذى لم تخر عزيمته أمام الشفقة  
أبدا ، وتراجع لحظة فى اعجاب بشجاعته .

عندئذ جاء صوت البوق مدويا من مام البوابة  
وتكرر نفس الصوت ثلاث مرات بقوة شديدة ، وكأنه  
نذير شؤم ينبغى أمام قلعة سحرية فينشر قاعاتها



وانطلقت لتقف على حافة البرج

وأبراجها وبواباتها أشلاء تتطاير في الجو مثل نتف  
سحب الصباح .

**لقال بوا جلبرت :**

- ان هذا البوق يعلن عن شيء قد يتطلب  
حضورى . وداعا . وسأعود سريعا لك يا خليلتى .

★★★



## الفصل الثامن عشر

### القس الغريب

عندما دخل بوا جلبرت بهو القلعة وجد دى بارسى ينتظره ، ولحق بهما فرونت دى بوا ، الذى قال لهما :

- دعونا نفهم سبب هذه الضجة اللعينة . ها هى الرسالة ، وهى مكتوبة باللفة السكسونية ، ان لم أكن مخطئا . وسلم الرسالة لدى بارسى بعد فشله فى قراءتها .

فقال دى بارسى الذى لم يستطع قراءتها ايضا :

- لعلها تموينة سحرية على قدر علمى .

فأخذها بوا جلبرت وقرأ ما يلي :

من :

نحن وامبا المهرج ، خادم النبيل سدريك ،  
وجورث راعي خنازيره ، وحليفانا الفارس الأسود ،  
وروبرت لوكسلي .

الى :

ريجنالد فرونت دى بواف وحلفائه .

حيث انه :

قد قتمت بلا سبب مشروع بالقبض على مولانا  
سدريك والليدى روينيا واثلستين كونجزبرج ،  
وخدمهم ، ويهودى اسمه اسحق يورك وابنته .

لذلك :

نطلب اخلاء سبيل جميع الأشخاص المذكورين  
وتسليمهم الينا فى خلال ساعة واحدة .

والا :

أشهرناها عليكم حربا بالهجوم على قلعتكم .  
واستخدام جميع قواتنا لتدميركم .

نحن الموقعون أدناه تحت السنديانة العظيمة ،  
وقام بتحرير ذلك رجل الدين فى منسك كويمانهيرست  
فى مولد القديس وتولد .

وامبا - الفارس الأسود

جورث - لوكسلى

أنصت الفرسان لهذه الرسالة الغريبة ، ثم  
تبادلوا النظرات فى صمت . وكسر دى بارسى حاجز  
هذا الصمت بالضحك ، الذى شاركه فيه بوا جلبرت .  
ولكن بيدا على فرونت دى بواف الضجر بضحكهما فى  
هذا الوقت السيء ، وقال :

- كفا عن الضحك ، فأولى لنا أن نتدارس  
الموضوع .

ثم سأل أحد أتباعه :

- أيها الحارس ، هل رأيت عدد القوات التي  
يعتمدون عليها ؟

**فقال الحارس :**

- مئتان على الأقل . . . وهم متجمعون في الغابة .

**فقال فرونت دي بوا :**

- يا له من خبر طيب ! أهذا جزاء سباحي لك  
باستخدام القلعة ؟

**فقال بوا جلبرت :**

- يا للعار يا سيدي الفارس ! . . لنجمع رجالنا  
ولنخرج اليهم . ان فارسا منا . . . بل رجل واحد  
شاهر السلاح كفيل بعشرين من هؤلاء الأوباش .

**فاجاب فرونت دي بواف :**

- هذا صحيح ، اذا كانوا من اهل المدن الجبناء ،  
ولكنهم انجليز من اهل الريف ، وهؤلاء لا تقدر عليهم  
الا بمساعدة دروعنا وجيادنا ، وهذه لن تساعدنا كثيرا

بين أشجار الغابة وأدغالها . هل قلت نخرج اليهم ؟  
اننا لا نملك ما يكفي من الرجال للدفاع عن القلعة .  
وأفضل رجالى فى يورك ، وكذلك كل فرقته يا دى  
بارسى . ان كل ما لدينا هنا لا يزيدون على أربعين أو  
خمسین رجلا .

### فقال بوا جلبرت :

— ارسل لجيرانك ، ليجمعوا لك رجالهم لانقاذ  
ثلاثة فرسان هجم عليهم مهرج وراعى خنازير فى القلعة  
الحصينة لريجنالد فرونت دى بواف .

### فقال فرونت دى بواف :

— ومن يحمل هذه الرسالة ؟ انهم سيراقبون كل  
الممرات . بوا جلبرت ، اكتب ما أمليه عليك :

### وكتب بوا جلبرت ما يلى :

ريجنالد فرونت دى بوا والنبلاء الفرسان حلفاؤه  
لا يقبلون التحدى من العبيد . واذا كان للرجل الذى  
يدعو نفسه باسم الفارس الاسود حق التكريم الواجب

للفروسية ، فيجب أن يعلم بأنه يرمى بنفسه في الهوان  
بانضمامه لهؤلاء الرعايا .

أما بالنسبة للأسرى ، فنحن قررنا قتلهم قبل  
ظهر اليوم ، ولذلك نطلب منكم أن ترسلوا اليهم قساً  
لكي يعترفوا له بأخطائهم ويثبت السلام بينهم وبين  
ربهم .

وطويت الرسالة وسلمت للرجل الذي جاء  
بالإنذار . وعاد الرسول الى السنديانة العظيمة ، حيث  
كان في انتظاره وامبا ، وجورث ، والفارس الأسود ،  
ولوكسلي .

وأخذ الفارس الأسود الرسالة وشرح معناها  
لحلفائه ، حيث لا يوجد غيره يستطيع قراءة اللغة  
الفرنسية .

**فصرخ وامبا قائلاً :**

— يقتلون النبيل سدريك . يا الهى ، لابد أنك  
مخطيء أيها الفارس !

**فاجابه الفارس :**

- لست أنا ، ايها الصديق العزيز ، لقد شرحت  
الكلمات كما وردت هنا .

**فقال جووث :**

- اذن ، وحق القديس توماس ، سنمزق القلعة  
بأيدينا .

**فاجابه وامبا :**

- ليس لدينا شيء آخر لنمزقها به .

**فقال لوكسلي :**

- انها مجرد خدعة لكسب الوقت ، انهم  
لا يجروون على اقراراف هذا العمل .

**فقال الفارس الأسود :**

- أود أن يستطيع أحد منا الحصول على اذن  
بالدخول للقلعة ويكتشف مدى قوتهم . وما داموا

يطلبون قسا ، وربما هذا الناسك الورع يستطيع القيام  
بهذه المهمة ، ويحصل لنا على المعلومات التي نريدها .

**فاجاب الناسك :**

- أحب أن أقول لك يا سيدى الفارس ، اننى  
عندما أخلع مسوح التنسك ، فتخلع عنى الرهبنة ،  
والقداسة ، وحتى اللغة اللاتينية .

**فقال الفارس الأسود :**

- أخشى أنه لا يوجد بيننا من يستطيع القيام  
بدور القس .

فتطلع الجميع بعضهم الى بعض فى صمت ، ثم  
قال وامبا بعد قليل :

- لابد أن يظل المهرج مهرجا ، ويضع رقبتة  
داخل مغامرة ، لا يقدم عليها العقلاء .

**فقال الفارس :**

- اذن ، فلترقد المسوح ، أيها الرجل الطيب .



وأطلب من سيدك تقريراً عن كل شيء في القلعة .  
ويبعثه لنا .

فقال لوكسلي :

- ونحن سنراقب المكان عن كثب ، ولن نسمع  
حتى للدبابة أن تنقل أى خبر من هناك .

وانتهى وأما من ارتداء ملابس رجال الدين ،  
ومشى بخطوات قس وقور ، متوجهاً إلى مهمته ، وقال  
لرفاقه بلغة لاتينية راقية :

- السلام عليكم ! -

★★★



## الفصل التاسع عشر

### هروب سدريك

لم تكف شجاعة وامبا للشد من أزره ، عندما وجد نفسه ماثلا أمام رجل يثير الروع في القلوب مثل ريجنالد فرونت دى بواف . غير أن فرونت دى بواف كان معتادا أن يرى الناس بفئاتهم المختلفة يرتعدون في حضرته ، لذا ، فلم يثر اضطراب القس المزعوم شكوكه .

وقال له :

— من أنت أيها القس ، ومن أين أنت قادم ؟

فقال المهرج باللغة اللاتينية :

– السلام عليكم ... انى قس جوال فقير .  
أسافر عبر هذه الأماكن الموحشة ، ف وقعت فى برائن  
الصوص . وبعثنى هؤلاء اللصوص لهذه القلعة لأقوم  
بالمساعدة الروحية اللازمة لأناس على وشك الوفاة .

**فاجابه فرونت دى بواف :**

– تمام .. وهل يمكنك أن تخبرنى ، أيها الأب  
المقدس ، كم عدد هؤلاء اللصوص ؟

**فاجاب المهرج :**

– أيها السيد الشجاع ، انهم كثيرون ...  
لا حصر لهم .

**فقال فرونت دى بواف :**

– أخبرنى فى كلمات واضحة عن أعدادهم ، والا  
فلن تحميك مسوحك هذه !

**فاجاب القس المزعوم :**

– ويلاه !! لقد كنت أرتعد من الخوف ، ولكنى  
أعتقد بأنهم أكثر من خمسمائة رجل .

فصرخ بوا جلبرت ، الذى دخل البهو فى هذه اللحظة .

— ماذا ! هل هم بهذا العدد ؟

ثم انتحى ناحية فرونت دى بواف وقال له :

— أتعرف هذا القس ؟

فقال فرونت دى بواف :

— انه غريب عن الديار . وهذه أول مرة أراه فيها .

فقال له بوا جلبرت :

— اذن ، لا تثق فيه وتحمله رسالة شفوية . بل حمله أمرا مكتوباً الى جماعة دى بارسى ، وتخبرهم بالحضور فوراً لنجدة مولاهم . أما الآن ، وحتى لا يشك القس فى شئ ، اسمح له أن يقوم بحرية فى انجاز مهمة تهيئة هذا الخنزير السنكسونى للموت .

فقال فرونت دى بواف :

• وهو كذلك .

وأصدر أوامره للخدم ان يرشدوا وامبا للغرفة  
التي بها سدريك واثلستين .

**وقال المهرج باللغة اللاتينية وهو يدخل الغرفة :**

• السلام عليكم .

**فقال سدريك للقس المزعوم :**

• تفضل . ما الغرض من مجيئك الى هنا ؟

**فاجاب المهرج :**

• لأدعوك بتهيئة نفسك للموت .

**فقال سدريك قافزا :**

• هذا مستحيل ! غلاظ القلوب ، أشرار ..

نعم ، ولكنهم لا يجروون على اقتراف هذا العمل !!  
هل سمعت هذا ، يا اثلستين ؟ دعنا نرفع معنوياتنا  
لنموت مثل الرجال .

**فقال اثلستين :**

- انى مستعد • فسأمشى للموت بهدوء كما  
أمشى متوجها للعشاء •

**فقال المهرج فى صوته الطبيعى :**

- انتظر لحظة ، أيها العم الطيب • من الأفضل  
أن تتطلع أمامك قبل أن تقفز فى الظلام •

**فقال سدريك :**

- وحق ايمانى ! انى أعرف هذا الصوت •  
- انه عبدك ومهرجك الوفى • خذ هذه العبادة  
وأخرج بسرعة من هذه القلعة • وأترك لى ثوبك لأبدأ  
الرحلة الطويلة مكانك •

**فقال سدريك :**

- أتركك مكانى ! لماذا ، سيشنقونك يا مهرجى  
المسكين !

- فليفعلوا ما يشاءون

**فقال له سدريك :**

— حسن يا وامبا ، ساسلم بطلبك ، اذا بادلت  
ثوبك بثوب لورد اثلستين بدلا منى

**فاجاب وامبا :**

— لا ان المعروف لا يلقي من يد ليد ، مثل  
الكرة • لن أشنق الا من أجل مولاى وسيدى •

**فقال اثلستين :**

— هيا أيها النبيل • ان وجودك بين أصدقائنا  
سيبث فيهم الشجاعة والاقدام على مساعدتنا •

**فقال سدريك متطلعا الى وامبا :**

— وهل يوجد أى أمل فى المساعدة ؟

**فاجاب وامبا :**

— أمل ؟ طبعا ! فهناك خمسمائة رجل ينتظرون  
بالخارج • وكنت ، هذا الصباح ، واحدا من زعمائهم •



ولبست خوذة المحارب بدلا من طرطور المهرج ... حسن ،  
سنرى أى خير سينجزون ، بتفريطهم فى رجل حكيم  
مكان مهرج ... أخشى ، مخلصا ، انهم سيفقدون  
بالشجاعة ما يكسبونه بالحكمة ... وهكذا ، استودعك  
الله ، أيها السيد الكريم ، وكن رحيمًا بالمسكين جوث  
وبكلبه فانجز ، ودع طرطور المهرج وامبا يتدلى ، مزيئا  
بهور وثرود حاملا ذكرى تقديم حياتى من أجل  
سيدى ، كمخلص ... مهرج ، أو مهرج مخلص .

**وتعجرت الدموع فى عينى سدريك وهو يقول :**

— ستدوم ذكراك ما دامت الدنيا يشرلها الاخلاص  
والحب . ولكن تفتى كبيرة فى العثور على سبيل لانقاذ  
روينا ... وانت يا اثلستين ... وانت طبعا ، يا وامبا  
المسكين .

ثم تبادلا الشيا ب ، وبعدها ساور سدريك شك  
مفاجيء ، فقال :

— أنا لا أعرف أى لفة غير لفتى ... حتى

اللاتينية لا أعرف فيها كلمة واحدة . كيف أظاهر بانى  
قس مثقف ؟

### فاجابه وامبا :

- تعويذة ساحرة تكمن فى كلمتين باللفة  
اللاتينية : « السلام عليكم » تجعلك تمر فى الحديد .  
فاذا رحت أو غدت أو أكلت أو نمت ، فالسلام عليكم  
هى مفتاح النجاح فيها كلها . قلها هكذا . . . فى فبرة  
خفيضة ، وقورة : السلام عـ . . لبـ . . كم . . انها  
لا تـ . . سقا . . وم . . اعتقد أننى سوف أستخدمها ،  
مع الرجل المكلف بشئى غدا .

### فقال سدريك :

- اذا كان الأمر هكذا ، فأنا قس من الآن .  
السلام عليكم . أمل أن أتذكرها . أيها النبيل  
اثلستين ، وداعا ، وداعا يا خادemy المسكين . سأنقذكما  
والا سأعود لأموت معكما . وداعا .  
- وداعا ، يا عمى ، وتذكر : السلام عليكم .

سار بندريك قليلا ، قبل أن يحاول تجربة قوة  
التعويذة السحرية ، التي قال عنها المهرج أنها لا تقاوم .  
وفى سرداب مقوس ومظلم أوقفته امرأة ، فقال القس  
المتظاهر :

— السلام عليكم !

وحاول الافلات بسرعة ، عندما أجابة صوت ناعم  
باللغة اللاتينية :

— والسلام عليكم . انى أتوسل اليك برحمتك ،  
ايها الأب المبجل . . . .

فأجاب سدريك بلغته السكسونية ، وفى نفس  
الوقت تمتم فى نفسه :

— اللعنة على المهرج ، وعلى تعويذته السحرية .  
لقد فقدت رمحى من أول رمية .

فظنت المرأة أن سمع القس الضعيف لا يستطيع  
تفسير اللغة اللاتينية ، لهذا أجابت بنفس لغته :

- أتوسل اليك برحمتك ، أيها الأب المقدس أن  
تتكرم بزيارة سجين جريح فى هذه القلعة .

**فاجاب سدريك :**

- يا بنيتى ، أعتذر لضيق وقتى . انى مطلوب فى  
مسألة حياة أو موت .

- ومع ذلك ، اسمح لى يا أبى أن أتضرع اليك  
بالأ تترك هذا المصاب دون تعزية ومواساة .

**فاجاب سدريك متعللا :**

- يا ليت الأرض تنشق وتبلعنى !

ولعله كان سيتمادى فى نفس النبرة المغايرة تماما  
لشخصيته المفروضة ، عندما قطع المحادثة صوت أولريكا  
سيدة البرج العجوز ، وقالت للفتاة :

- كيف تتجاسرين ، أيتها العبدة فى ازعاج رجل  
الدين ، هيا ، اذهبى الى حجرة الرجل المصاب ، وقومى  
على خدمته حتى أعود . تعال من هنا ، أيها الأب ، انك

غريب عن هذه القلعة ولا تستطيع مغادرتها بدون  
مرشد . اقترب إليها الأب ، لأنى أرغب فى التحدث  
معك .

وانسحبت ربيكا . التى قد سمحت لها أولريكا  
بملازمة أيفان هو الجريح . وسمعت ربيكا منها بزيارة  
القس ، وكانت تأمل فى مقابلته أن تستطيع ارسال  
رسالة لنجدتهم .

\*\*\*



## الفصل العشرون

### وعد أولريكا

قادت أولريكا سديريك المعارض الحرون الى غرفة صغيرة ، وأغلقت بابها بحرص شديد ، وقالت :

- انك سكسونى ، أيها الأب • لا تنكر ذلك •

**فاجاب سديريك :**

- نعم ، أنا سكسونى • دعينى ، فأنا فى عجلة من امرى •

**واستطردت أولريكا قائلة :**

- وأنا التى أمامك الآن ، امرأة عجوز متخضنة كنت فى يوم ما ابنة النبيل لورد توركويلستون •

فقال سدريك :

- أنت ابنة توركويل ولفجانجر !! انت ابنة ذلك  
النبيل الساكسونى ، صديق أبى ورفيقه فى القتال !

فرددت اولريكا قائلة :

- صديق أبيك ؟ .. اذن فأنت سدريك  
الساكسونى ولكنك اذا كنت هو ، فلماذا هذا الثوب  
الدينى ؟

- ليس هذا موضوعنا . اكمل ، واخبرينى بما  
تريدين .

- فى هذه القاعات الملطخة بدم أبى وأخوتى ،  
أجبرت أن أعيش كمحظية لقاتله ، فرونت دى بواف .  
وأخيرا ، رأيت وسيلة للانتقام . فمهما كانت حياة  
اولريكا ، فموتها سيكون جدير بابنة النبيل توركويل .  
توجد قوات على وشك الهجوم على القلعة . اسرع  
لتفادهم بالهجوم فورا ، وعندما ترى العلم الأحمر  
يرفرف من البرج الغربى ، ابدأوا الهجوم على



النورماندين • فسوف يكون لديهم ما يشغلهم في  
الداخل • هيا ، اذهب ... واجه قدرك ، ودعني  
لقدرى •

وكان سندريك سيطلب فهم المزيد مما ذكرته  
بشكل مبهم ، ولكن وصله صوت فرونت دى بواف :

— لماذا طال مكوث هذا القس ؟ سأحوله الى جنة  
هامدة ، اذا كان يحيك مؤامرات بين خدمى • فاخفت  
اولريكا عبر باب خاص عند ظهور فرونت دى بواف ،  
الذى قال :

— لعلك هيات النادمين للموت ؟

**فقال سندريك :**

— وجدتهم يتوقعون الأسوأ ، لأنهم يعرفون  
مصيرهم المحتوم •

— اتبعنى فى هذا الممر ، لكى أخرجك من بوابة  
أخرى •

وأثناء سيرهما سويا ، أخبر فرونت دى بواف  
القس المزعوم بالعمل المنوط به :

- انت ترى ، أيها السيد القس ، هؤلاء الخنازير  
السكسونيين الذين تجاسروا فى حصار القلعة ؟ أخبرهم  
أى شىء تختاره عن ضعف القلعة ، أو أى شىء يعوقهم  
ويعطلهم أمامها لمدة أربع وعشرين ساعة ، وخذ هذه  
الورقة . ولكن انتظر ! هل تستطيع القراءة أيها  
القس ؟

فقال سدريك :

- ولا حرف . فانا أتلو صلواتى غيبا ، بلا كتاب :  
- هذا أفضل لى . أحمل هذه الرسالة الى قلعة  
فيليب دى مالفيزون ، وأخبره أن يبعث بها الى يورك  
بأسرع ما يمكن . وفكر فى أى حيلة ، لكى تبقى هؤلاء  
الأوغاد ، حيث هم الى أن يحضر أصدقائنا رماحهم .

فقال سدريك :

- أقسم بكل قدیس بأن أوامرك كلها مطاعة .  
ولن يتحرك أى سكسونى نحو هذه الجدران .

وقاده فرونت دى بواف الى بوابة صغيرة فى  
مؤخرة القلعة ، وقال له :

- اذهب الآن ، واذا حملت هذه الرسالة وعدت ،  
فسترى اللحم السكسونى أرخص من لحم الخنزير فى  
شوارع شفلد • وعلى فكرة ، يبدو انك قس حبوب ،  
تعال بعد المعركة وستعب ما تستطيعه من النبذ •

**فاجابه سدريك :**

- تاكد من اننا سنتقابل ثانية •

★★★



## الفصل الحادى والعشرون

### الراهب امبروز

وبعودة فرونت دى بـواف الى القلعة أمر خدمه  
باحضار المسجونين سـديريك واثـلستين امامه • وقال  
عندما ظهر المسجونان :

- حسن أيها اللوردان الانجليزيان • كيف  
استمتعتما بالترفيه فى توركويلستون ؟ كم ستعطيانى  
من مال مقابل حياتكما ؟ واذا لم تدفعا ما فيه الكفاية ،  
فسأعلقكما من قدميكما حتى تنهش الطيور عظامكما •  
كم تدفع يا سـديريك ؟

فاجاب وامبا المسكين :

— ولا شيء • لقد انقلب دماغى رأسا على عقب منذ  
فترة طويلة ، فقد تعدله عندما تديرنى رأسا على عقب •

### **فصرخ فرونت دى بواف :**

— يا أيها القديس جنييفاف ! من هذا الرجل ؟  
وضرب سدريك بظهر يده ، فأطاح بغطاء رأس  
المهرج ، وانفرج ثوبه ، فأنكشف الطوق الذى حول  
عنقه ، رمز العبودية • وكرر ثانية :

— من هذا الرجل ؟

### **فقال دى بارسى الذى دخل لتوه :**

— أعتقد أنه مهرج سدريك •

### **فأجاب فرونت دى بواف :**

— اذن ، سيشنق سدريك مع مهرجه ، على نفس  
الشجرة ، الا اذا دفع هو واثلستين بسخاء مقابل  
حياتهما • فثرواتهمما هى أقل شيء يمكن أن يتنازلوا  
عنه ، لذا عليهم أن يبعدوا معهم الخارجين عن القانون

الذين يحاصرون القلعة ، ويعيشون بعد ذلك كخدم  
مطيعين تحت أمرنا .

### وقال لاثنين من أتباعه :

— اذهبا واحضرا لى سدريك الحقيقى الى هنا .  
انى أعفو عن خطئكما هذه المرة ، حيث أنكما أخطأتما فى  
سدريك وما هو الا المهرج .

### فصرخ دى بارسى :

— يا قديس السماء ! لابد أنه هرب فى ملابس  
القس !

### فصاح فرونت دى بواف :

— كان هذا سدريك ، اذن ، الذى أخذته للبوابة ،  
وأخرجته بيدي !

### وقال موجهها كلامه لوامبا :

— وأنت أيها المهرج ، سألقى بك من البرج . ان  
تجارتك هى الضحك ، فهل تستطيع الضحك الآن ؟

فاجاب وامبا :

- يمكنك أن تفعل بي ما تشاء .

فقال دى بارسى ، مخاطبا ائilstين :

- هيا ، أيها السكسونى ، انهض وقل لنا ماذا  
ستفعل مقابل حريتك .

فقال ائilstين :

- اعطونى حريتى ، أنا ورفاقى ، وسادفع لك  
الف قطعة ذهبية .

فقال فرونت دى بواف :

- وهل ستبعد هؤلاء الخارجين على القانون الذين  
يحاصرون القلعة ؟

فاجاب ائilstين :

- على قدر ما أستطيع ، ساجعلهم ينسحبون ،  
وأعتقد أن سدريك سيعاوننى على ذلك .



### فقال فروننت دى بواف :

- اتفقنا ، اذن • سنطلق سراحك • انه مبلغ تافه  
من المال • ولكن هذا الاتفاق لا يشمل اليهودى اسحق •

### فقال بوا جلبرت :

- ولا ابنة اليهودى •

### وقال دى بارسى :

- ولا يشمل ليدى رويينا •

### فقال فروننت دى بواف :

- ولا يشمل المهرج الفقير ، الذى ساحتفظ به  
واعاقبه كعبرة للآخرين •

### فقال ائلستين بحزم :

- ان ليدى رويينا زوجتى مستقبلا • لو مزقتونى  
اربا اربا ، فلن اوافق على ان افارقها • ولقد فدى وامبا  
اليوم حياة سدريك ، وأنا سافدى عمرى قبل أن تمس  
شعرة من رأسها •

**فقال دى بارسى :**

– زوجتك مستقبلا ؟ ليدى رويينا لعبد مثلك ؟

**فاجاب ائلستين :**

– أيها النورماندى المتغطرس اننى من أسرة

شريفة المحتد • من أصل أكثر نقاء وأصاله عن فرنسى

جبان ، يكسب ماله من السرقة • اننى سليل ملوك

أشداء فى الحروب حكماء فى المشورة ، الذين حفلت

مآدبهم بمئات الرجال فى قاعاتهم العامرة بالاتباع ،

والذين يتغنى الشعراء بأسمائهم ، والذين دفنت

عظائمهم بين صلوات القديسين ، وشيدت الكنائس فوق

قبورهم •

**فقال فرونت دى بواف :**

– لقد أحسن السكسونى الرد عليك تماما •

**فقال دى بارسى :**

– صحيح يداه مقيدتان ولكن لسانه طليق •

ان براعتك فى الاجابة لن تحرر ليدى رويينا •

فلم ينبس اثلستين بينت شفه •  
وسكت الجميع عند وصول خادم يعلن عن وجود  
قس عند البوابة الخلفية ، ويطلب الاذن ، بالدخول •

### فقال فرونت دى بواف :

- باسم القديس بنيت ، هل هو قس حقيقى هذه  
المرّة أم خدعة أخرى • فتشوه ، أيها العبيد ، وإذا  
تسببتم فى خداعى مرة أخرى فسنمزق أذانكم •

### فقال الخادم :

- انه قس حقيقى • انه القس امبروز من أتباع  
الراهب جورفولكس •

### فقال فرونت دى بواف :

- اسمح له بالدخول ، وابعده هؤلاء السجناء •  
دخل القس امبروز محاطا بخدم القلعة • وبدأ أنه  
فى حالة ثائرة جدا •

فقال وامبا وهو يمضى أمام القس فى طريقه  
للخروج :

— هذه هى السلام عليكم الحقيقية ، أما الأخريات  
فكانت مخادعة .

قال القس :

— حمدا يا أمنا المقدسة ، اننى فى أمان ، أخيرا ،  
وبين أصدقاء مسيحيين . انكم أصدقاء أيمر ، راهب  
جورفولكس ، انكم مدينون له بالمساعدة كفرسان .  
لأن ما يقوله القديس أوجستين فى كتابه : ...  
وبدا يتلو باللغة اللاتينية ، فقاطعه فرونت دى  
بواف قائلا :

— ماذا يقول هذا الابليس ! ليس لدينا وقت  
لسماع ما يقوله القديس أوجستين .

فصرخ القس امبروز :

— يا الله السماوات ! ان هؤلاء الجنود سريمو  
الغضب ! ليكن معلوما لديكم ، بأن رجالا قتلة مجرمين  
يلقون تقوى الله وراء ظهورهم ، و ...

**فقال فارس الهيكل بوا جلبوت :**

- أيها القس الفاضل ، قل لنا بوضوح ، هل  
سيدك ، الراهب ، أصبح أسيرا ؟ ولمن ؟

- انه فى يد الخارجين على القانون ، لقد أخذوا  
منه مائتى قطعة من الذهب ، ويطلبون منه مبلغ اكبر  
قبل أن يسمحوا له بالحرية . ولذلك يتوسل اليكم  
كأصداء حميمين أن تساعدوه .

**فقال فرونت دى بواف :**

- فليذهب راهبك الى الأبالسة . كيف السبيل  
الى تحريره ، ونحن محاصرون بقوات تزيد عنا عشر  
مرات ، ونتوقع هجوما بين لحظة وأخرى ؟

**فقال القس :**

- وهذا ما كنت على وشك أن أخبركم به . لو  
كنت أعطيتهمونى فرصة اتمام حديثى . فلقد رأيت  
الخارجين على القانون يجمعون جموعهم ويتأهبون للهجوم  
على القلعة .

## فصرخ دى بارسى :

- الى الأسوار ! ولنرى ما يفعلونه فى الخارج :  
واندفع وفتح النافذة التى تؤدى الى سطح  
الأسوار ، وفى الحال قال للموجودين فى الحجرة بصوت  
عال :

- أيها القديس دنيس : لقد قال القس الحقيقة !  
انهم يتقدمون بالمصعدات والتروس الخشبية الضخمة  
حاملينها فوق رؤوسهم ، والنبالة والرماة يتجمعون عند  
طرف الغابة مثل السحب التى تسبق العاصفة !  
وتطلع فرونت دى بواف أيضا الى المهاجمين ،  
وقبض على بوقه فى الحال ونفخ فيه ، أمرا رجاله بأخذ  
مراكزهم على الأسوار ، وقال :

- وانت يا دى بارسى ، ستكون مسؤولا عن  
الجانب الشرقى ، حيث الأسوار فى أقل ارتفاع لها ،  
وانت يا بوا جليبرت ستكون فى الغرب . وسأهتم أنا  
ببوابة المدخل الرئيسى وبرجها . لا تبقوا فى مكان



وقبض على بوقه ونفخ فيه

واحد ، لابد أن نكون فى كل مكان . ان أعدادنا قليلة ،  
ولكن النشاط والشجاعة ستعوضنا عن ذلك .

**وصاح القس امبروز وسط حالة الفوضى التى  
تسببت فيها الاستعدادات للدفاع :**

- ولكن ، أيها الفرسان النبلاء ، ان يسمع أحد  
فيكم رسالة الأب المقدس ايمن ، راهب جورفولكس ؟  
أتوسل اليك أن تسمعنى أيها السيد النبيل ريجنالد .

**فقال النورماندى الشرس :**

- اذهب ورتل صلواتك ، لأننا ليس لدينا الوقت  
لسماعك . انتم هناك ! أعدوا الزيت المغلى لالقائه على  
رؤوس المهاجمين ، زدوا الرماة بالسهم . وارفعوا علمى  
فوق البرج ، وسيكتشفون فوراً مع من يتعاملون فى  
يومهم الأغبر هذا .

**واستطرد القس محاولاً لفت الانتباه :**

- ولكن أيها السيد النبيل ، لابد أن أطيع الرابع  
وأبلغ رسالته لك .



## فقال فرونت دى بواف :

- كفاك هراء ٠٠٠ ابعده ٠٠٠ بل احبسوه ،  
حتى تنتهى المعركة .

وتطلع بوا جلبرت مرة أخرى من النافذة على  
المهاجمين ، وقال :

- لم أكن أتوقع أن أرى هؤلاء الرجال على مثل  
هذا التنظيم . انهم يخنفون فى مسيرتهم وراء الأشجار ،  
ويحرصون الا يعرضوا أنفسهم لرماتنا . أقسم بأنهم  
لا بد أن يكونوا تحت قيادة فارس محنك فى فن الحرب  
والقتال .

## فقال دى بارسى :

- اننى أراه . اننى أرى بريق درعه . انظر  
هناك ٠٠٠ انظرا هذا الرجل الطويل ذى الدرع الأسود  
الذى ينظم صفوف القوات البعيدة . وحق القديس

دنیس ، أقسم أنه نفس الفارس الأسود الذى هزمك  
يا فرونت دى بواف فى مباریات اشبى !

وذهب كل فارس الى موقعه ، على رأس عدد قليل  
من الأتباع الذين استطاعوا أن يجمعوهم ، وانتظروا  
هناك بتصميم هادىء للهجوم المرتقب ..

★ ★ ★

## الفصل الثانى والعشرون

### الهجوم على البرج

غالبا ما تكون لحظات الخطر لحظات عطف ومحبة  
لقلوب مفتوحة . فنحن نتخلص من حذرنا ، ونفشى سر  
قوة تلك المشاعر التى نحرص على اخفائها فى الأوقات  
الوديعة .

عندما وجدت ربيكا نفسها بجانب ايفانهو مرة  
أخرى ، كانت مندهشة للسعادة التى تشعر بها ، حتى  
فى أوقات يحلق فيها الخطر من حولهما .

وضعت يدها فوق جبينه وسألته عن صحته  
وأفشت النعومة التى فى يدها والتى فى صوتها باهتمام

عطوف أكثر مما كانت هي نفسها تود افشاءه . فاهتز  
صوتها ، وارتعشت يدها . وأعادها لصوابها سؤال  
ايفانهو البارد :

— هل أنت الفتاة ؟

ان حباها ، الذى تشعر به لن يشاركها فيه أبدا .  
وأفلتت منها تنهيدة ، ولكنها كادت لا تسمع . فسألته  
مرة أخرى عن حالته الصحية بنبرة صداقة هادئة .  
فأجاب ايفانهو بأنه أفضل مما كان يتوقع ، وقال :

— شكرا ، يا عزيزتى ربيكا ، على رعايتك لى .  
فقالت الفتاة لنفسها :

— انه يقول لى « عزيزتى ربيكا » ، ولكنها بنبرة  
باردة لا مبالية .

واستطرد ايفانهو قائلا :

— ان عقلى مشئت ومصاب بأفكار مضطربة أكثر  
من إصابة جسمى واحساسى بالألم . ومن أحاديث  
الرجال الذين تركونى لتوهم ، أحكم أننى فى قلعة

فرونت دى بواف • اذا كان الامر كذلك ، فكيف ستكون  
نهاية هذا الوضع • وكيف أستطيع أن أحمى رويننا  
وأبى ؟

وازدادت حاليا الضجة داخل القلعة ، بسبب  
استعدادات الدفاع وتضاعفت عشر مرات أو تزيد  
الخطوات الثقيلة للرجال المسلحين ولابسى الدروع للأذان  
عابرة الجدران والممرات الضيقة المؤدية الى الأبراج  
المختلفة • وكانت تسمع أصوات الفرسان ، وهم  
يشجعون رجالهم ، وكثيرا ما تتداخل أوامرهم مع  
صرخات أتباعهم • وبدأت هذه الأصوات أكثر اقزاعا من  
الأحداث المروعة التى تنبئ عنها • ومع ذلك ، كان فيها  
شئ ملهم يستطيع عقل ربيكا النبيل أن يحس به •  
واشتعلت عينها بالضياء ، بينما هربت الدماء من  
وجنتيها •

ولكن ايفانهاو كان كجواد الحرب يحتدم غيظا  
ونفاد صبر ، وشق عليه ألا يستطيع الاشتراك فى  
القتال ، فقال :

- حبذا لو استطعت أن أجر نفسي الى هذه النافذة  
لأشهد سير هذه اللعبة الشجاعة . حبذا لو كان لدى  
قوس لأرمى به أو فأس لأضرب به من أجل خلاصنا !  
ولكن لا ... ان هذا عبث ... عبث ... فانا أعزل  
بلا قوة .

### فقال ربيكا :

- لا تزعج نفسك أيها الفارس النبيل . لقد  
توقفت الأصوات فجأة ، لعلهم لن يشتركوا فى المعركة .

### فقال ايفانهو فى ضيق :

- انت لا تعرفين شيئا عن القتال . هذا التوقف  
يدل فقط على أن الرجال على أهبة الاستعداد فى مراكزهم  
عند الأسوار ، وفى انتظار هجوم سريع ، أما ما سمعناه  
من قبل ، فكان جميع القوات للعاصفة التى ستنفجر  
حالا بكل ضراوتها . هل يمكن لى أن أصل لهذه  
النافذة ؟

### فقال ربيكا :

- ستضر بنفسك اذا حاولت .

ولما رأت شغفه الشديد ، أضافت قائلة :

— سأقف أنا عند النافذة ، وأروى لك ما يحدث خارجها •

وكان المنظر الذى تستطيع ربيكا أن تراه ، هو  
البرج الخارجى ، الذى من المحتمل أن يكون أول نقطة  
هجوم • انه مبنى ليس عظيم الارتفاع أو القوة ،  
والمقصود به ، حماية البوابة الخلفية الصغيرة ، التى  
أخرج فرونت دى بواف منها سدريك مؤخرا • وكانت  
محاطة بسور خشبى من الخارج ، وخندق مائى يفصلها  
عن بقية القلعة •

**وقالت ربيكا :**

— جماعات غفيرة من حملة الأقواس تصطف عند  
نهاية الغابة ••• ولكن قليل منهم متقدم أمام ظلال  
الأشجار القاتمة •

**فسأله ايفانهو :**

— تحت أى علم ؟

## فاجابت ربيكا :

— لا يوجد أى علم أو أى شعار .

## فقال الفارس :

— هذا أمر غريب ! .. يهجمون على القلعة دون

إظهار علم أو شعار ! هل ترين من يقوم بالقيادة ؟

## فاجابت ربيكا :

— أرى فارسا فى درع أسود يصدر اليهم

الأوامر .

— الا يوجد قادة غيره ؟

## فقالت ربيكا :

— لا أستطيع أن أرى من هنا أحدا غيره . ولكن

لابد أن الجانب الآخر من القلعة معرض للهجوم أيضا .

يبدو أنهم يتقدمون الآن . حمانا الله من كل مكروه !

يا له من منظر رهيب ! ان المتقدمين منهم يحملون

تروسا مهولة الحجم من الألواح الخشبية . ووراءهم

حاملو الأقواس . انهم يرفعون أقواسهم ! .. يا الهى ،

فلتغفر لعبيدك فأنت خالقهم !





**OUTLAWS.**



**A STAFF**



**A MOAT.**



**A CROSSBOW.**

**A LADDER.**



**A HELMET.**

وتوقفت عن وصفها بسبب إشارة الهجوم ،  
وصوت البوق ، الذى ردوا عليه من الأسوار بضربات  
الطبول . وازدادت الضجة الرهيبة وهتافات الفريقين  
وصراخهم . **فالمهاجمون يصرخون :**

- القديس جورج من أجل انجلترا السعيدة !  
**والنورمانديون يردون عليهم بصرخات عالية :**  
- دى بارسى ! فرونت دى بواف !

وقوبلت الهجمات بدفاعات قوية مثلها . أما  
حاملو الأقواس المدربون فى مباريات الغابة الرياضية ،  
فكانت رمياتهم فى منتهى الحذق والبراعة حتى انه لم  
يسلم منها مدافع واحد يظهر نفسه . وطارت السهام  
كالسحب نحو كل نافذة أو فتحة فى الأسوار . وأجاب  
عليهم المدافعون بالمقاليع والنبال . ويزداد الصياح فى  
كلا الجانبين ، خصوصا عند وقوع ضربة حظ ، أو  
حدوث هزيمة معينة .

**وصرح ايفانهو :**

- كتب على أن أرقد هنا حبيس هذا السرير ،

بينما اللعبة التى تهب المرء الحرية أو الموت ، تدور  
رحاها على أيدي الآخرين ! انظري من النافذة مرة  
أخرى ، أيتها الفتاة الطيبة ، ولكن احذري حامل  
الأقواس • ماذا ترين يا ربيكا ؟

— لا أرى الا وابلا من السهام يخطف الابصار ،  
ولا أرى من رموها •

**فقال ايفانهو :**

— لن يستمر هذا طويلا ، لابد أن يشددوا الهجوم  
ويحتلوا القلعة بقوة السلاح • فالسهام لا تفيد كثيرا  
مع الأسوار الحجرية • ابحثى عن الفارس الأسود •

**فقالت ربيكا :**

— أين أنت ... أين ، لست أراه •

**فصرخ ايفانهو :**

— أيها الأحق الجبان • هل تراجع عندما حمى  
الوطيس ؟

**فقالت ربيكا :**

- انى اراه الآن ! انه على رأس جماعة من الرجال  
بالقرب من السور الخشبي المحيط بالبرج الخارجى .  
انهم يزيلون العميدان ويحطمون بفؤوسهم  
السور الخشبي . انهم فتحوا ثغرة فيه ! .. انهم  
يتراجعون ! .. فرونت دى بواف على رأس المدافعين .  
أرى شكله الضخم من فوق الزحام . عادوا للهجوم ،  
التحموا رجلا لرجل فى الأرض المكشوفة . انه يشبه  
التقاء بحرين تحركهما رياح معاكسة !

وأدارت رأسها من النافذة ، وكأنها لم تعد تقدر  
على مشاهدة منظر بشع ، ثم أجالت نظرها مرة أخرى  
**وصاحت :**

- فرونت دى بواف والفارس الاسود ، مشتبهين  
بالأيدي عند السور الخشبي ، وسط زئير أتباعهما .  
الذين يراقبون مسار القتال . فليتساعده السماء !

**ثم صاحت عاليا :**

- لقد سقط ! سقط :

**فصرخ فيها ايفانهو :**

- من ذا الذى سقط ؟ بالله عليك ، أخبرينى  
أيهما الذى سقط ؟

**فاجابت ربيكا بضعف :**

- الفارس الأسود !!

**ثم صرخت فى الحال بحماس وفرح :**

- لا ! لقد نهض ٠٠٠ انه يحارب وكان فى ذراعه  
قوة عشرين رجلا ٠٠٠ انكسر سيفه ٠٠٠ يا الهى ٠٠٠  
انه يخطف فأس رجل بجانبه ٠٠ انه يضيق الخناق  
على فرونت دى بواف بضربات متلاحقة ٠٠٠ العملاق  
يترنح مثل السنديانة بعد ضربات فأس قاطع الأشجار .  
انه يقع ! انه يقع !

**فصرخ ايفانهو :**

- فرونت دى بواف ؟

**فاجابت اليهودية :**

- فرونت دى بواف ! هرع رجاله الى نجدته .  
وعلى رأسهم بوا جيلبرت ٠٠ أجبروا الفارس الأسود أن  
يتوقف ٠٠٠ سحبوا فرونت دى بواف داخل الأسوار .

### **فقال ايفانهو :**

— لقد فاز المهاجمون بكسور الخشبي ، أليس كذلك ؟

— فازوا ! فازوا ! وهم يكيلون الضربات للمدافعين عند البرج الخارجى . نصبوا السلالم الخشبية والبعض يتزاحم على صعودها فوق أكتاف البعض الآخر . . . الحجارة وجذوع الشجر والعمدان الخشبية تنهال فوق رؤوسهم . يحملون الجرحى الى المؤخرة ، ويحل محلهم رجال جدد بسرعة .

— من المهزوم ؟ ومن الغالب ؟

### **فاجابت ربيكا وهى ترتعش :**

— انهارت السلالم . . . الجنود تسحق تحتها . . . المدافعون متفوقون .

### **فصرخ ايفانهو :**

— أيها القديس جورج ، فلتحارب معنا ! هل يتراجعون ؟

- لا ! انهم يتحملون ببسالة . الفارس الأسود  
يقترب من بوابة البرج بفأسه . يمكنك سماع الضربات  
الراعدة التى يحطم بها البوابة ، انها تعلو على صراخ  
المعركة وعويلها . الحجارة وكرات الحديد تنهال عليه  
كالمطر . . . انه لا يبالى بها .

فنهض ايفانهو ، من فرحه ، قليلا وقال :

- لا يوجد فى انجلترا كلها الا رجل واحد يحارب  
بهذا الشكل .

واستمرت ربيكا قائلة :

- البوابة تترنج . انها تسقط . وهم يهجمون .  
لقد فازوا بالبرج ! اوه ، يا الهى ! لقد رموا بالمدافع  
من سطح السور فى خندق المياه .

فصرخ ايفانهو :

- الجسر . . . الجسر الذى يوصل للقلة فوق  
خندق المياه . . . هل استولوا عليه ؟

## واجابت ربيكا :

- لا ، لقد حطم بوا جيلبرت الجسر • وقليل من المدافعين فروا معه لداخل القلعة • والصرخات التي تسمعها تعبر عن مصير الآخرين • وا أسفاه ! أرى أن مشاهدة النصر أصعب من مشاهدة المعركة •

## فقال ايفانهو :

- ماذا يفعلون الآن ، يا فتاة ؟ هيا تماسكى وطالعى ... لا وقت للاغما •

## فاجابت ربيكا :

- المعركة انتهت مؤقتا • وأصدقائنا يحصنون أنفسهم فى البرج الخارجى •

## فقال ايفانهو :

- ان أصدقاءنا بالتاكيد لن يتركوا هجوما بداوه بهذه الروعة • أوه ، لا ! اننى أومن بالفارس العظيم الذى مزقت فأسه أشجار السنديان وقضبان الحديد •

## ثم تمتم لنفسه :



— غريب هذا الرجل . فهو بلا نظير ! ألم ترى  
يا ربيكا أى علامة تميز هذا الفارس ؟

**فقالت ربيكا :**

— أبدا . كل شئ فيه لونه أسود .

**فقال ايفانهو :**

— ربيكا ، انه بطل . . . . . بالتأكيد انهم يريدون  
رجالهم ، أو لعلمهم يجهزون وسيلة لعبور خندق المياه .  
أقسم بشرف منزلى ، وأقسم باسم حبيبتي روينسا  
الجميلة ، بأننى مستعد أن أقاسى عشر سنوات فى الأسر  
فى سبيل أن أحارب بجانب هذا الفارس العظيم .

**فقالت ربيكا :**

— لماذا هذا الظمأ للقتال ؟ ماذا يبقى لكم ،  
وتفوزون به ، بعد كل الدم الذى سال ، وكل الآلام  
التي عاينتموها ، وكل الدموع التي تسببت فيها  
أعمالكم ؟ ماذا يبقى لكم بعدما يحطم الموت حراب الرجال  
الأقوياء ؟ المجد ؟ وا أسفاه . ما هو المجد ؟ درع واه  
يسمونه اكليلا ، يعلقونه فوق قبر الجندى المعتم

المتفسخ ، والكتابة فوق شاهده ، التي لا يستطيع  
قراءتها الحاج الأعمى .

وكانما تعب الفارس من تأثير هذا الكلام ، فراح  
غيبوبة جديدة .

**وتطلعت ربيكا نحو سريريه ، وقالت :**

- انه ينسام مثخن بجراح الجسد والروح ،  
وا أسفاه ، هل هي جريمة لو نظرت اليه ، وربما تكون  
المرّة الأخيرة ؟ ولكنى سوف أقتلع هذه الحماسة من  
قلبي رغم نزيقه . وسحبت حجابها على وجهها ، وجلست  
بعيدا عن الفارس الجريح .

\*\*\*

## الفصل الثالث والعشرون

### انتقام اولريكا

رقد فرونت دى بواف صاحب القلعة ممددا على فراش الموت . لقد حلت اللحظة التى تنسل منها الأرض وكنوزها من عينيه . وارتعد قلبه الجبار عندما حلق فى الظلام المجدب المتراعى لمستقبل ما وراء الموت . وأشعلت حمى جسده فزع عقله . وتمتم لنفسه قائلا :  
- لقد سمعت الناس يتكلمون عن الصلاة . ولكنى لا . . . لا أجرؤ على الصلاة !

وصرخ صوت معطم بجانب سريره :

- يقول فرونت دى بواف انه لا يوجد شئ .  
لا يجرو على عمله .

**فارتعد وقال :**

— من هناك ؟ ماذا انت يا من تردد كلماتى  
كطائر الليل الاحمق • تعال امام سريرى حتى اراك •  
**فاجاب الصوت :**

— أنا قريبك الشرير يا ريجنالد فرونت دى  
بواف •

— ابتعد ... ابتعد ، ولا ترزعجنى أكثر من ذلك •  
دعنى أموت فى سلام •

**فقالت اولريكا ، وهى تخطو امام سرير فرونت  
دى بواف :**

— لا ، لن تموت فى سلام ... حتى فى الموت  
سوف تفكر فى قتلاك ... فى صرخات الاسترحام التى  
أخذت تردها جنبات هذه القلعة ... فى الدم الذى  
جف على أرض حجراتها !

**فاجاب فرونت دى بواف :**

— أيتها المخلوقة الحمقاء ! انها أنت اذن ، جئت  
تسخرين منى فى ساعة موتى ؟

### فأجابت :

- نعم : انها اولريكا ، ابنة القتييل توركويل  
فولفجانج ، أخت ابنائه الموتى . استمع لهذه الأصوات  
التي تخلع القلوب !

كانت أصوات الهجوم المتجدد تجلجل حاليا بشكل  
مرعب فى جنبات جدران القلعة ...

### واستمرت قائلة :

- ان صرخات الحرب هذه ، نذير بداية سقوط  
منزلك .

### وصرخ فرونت دى بواف :

- كاذبة ! ان أعوانى يحاربون بشجاعة ، ان  
أسوارى قوية . وصرخات قتال بوا جيلبرت ورجاله  
ترتفع حاليا فوق المعركة . وبشرفى عندما نشعل النار  
للاحتفال بدفاعنا ، فسوف تحرق هذه النار حتى  
عظامك .

### فأجابت اولريكا :

- اتعظ اذن ، واعرف مصيرك ، الذى لا تستطيع

ان تتجنبه بكل قوتك وجسارتك ، بالرغم من أن هذه اليد الواهنة هي التي جهزته لك . الا ترى الدخان الذى يتصاعد فى سحب داكنة الى غرفتك ؟ الا تذكر مخزن الأخشاب والفحم الذى تحت هذه الغرفة ؟

### فصرخ فى غضب :

— يا امرأة ! لا يمكن أن تكونى أشعلت فيه النار !  
ان القلعة تشتعل !

### فقالت اولريكا فى هدوء :

— ألسنة النار ترتفع بسرعة ، وسأعطى اشارة ،  
فورا ، للمهاجمين ليشددوا هجومهم ، فلا يلتفت أحد  
لاطفائها . الوداع يا فرونت دى بواف . وربما  
أعطيك شيئا من الراحة وأنا أخطر بك بأن اولريكا ،  
رفيقة اثمك ستكون أيضا رفيقة عقوبتك . . . . وستكون  
أيضا زميلة سفرك الى نفس الساحل المظلم .

وبعدها ، غادرت الغرفة ، واستطاع فرونت دى  
بواف أن يسمع صوت المفتاح الثقيل وهي تقفل به  
الباب وراءها ، وهكذا تقطع عليه أى بارقة أمل .

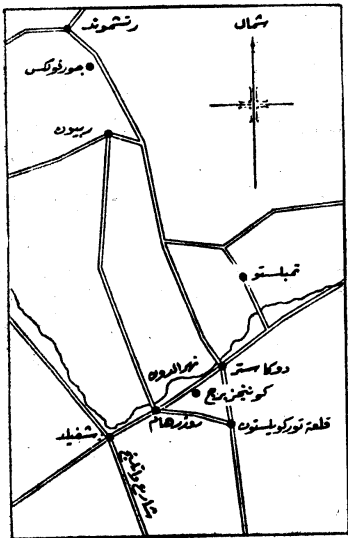
وأخذ يصرخ من الله ورعبه ، وينادى على خدمه  
وحلفائه :

« ستيفان ، كليمنت ، جيليز ... انى أحترق  
انهم لا يسمعوننى ، ان صوتى يضيع فى ضجة المعركة .  
هنا . انقذونى ! انقذونى ! بوا جلبرت ! دى بارسى !  
والدخان يتصاعد أكثر وأكثر !

وفى جنون اليأس أخذ يصيح هذا البائس مع  
صيحات المقاتلين ، ويصب اللعنات على نفسه ، وعلى  
الجنس البشرى ، وعلى السماء نفسها . وأخذ يضحك  
فى هستيريا ... ها ها ها ... وسط السنة النار  
الحمراء عبر الدخان الخائق ، حتى جلجل السطح  
المقوس ثانية ، فصرخ فى نبرة مغايرة :

— اولريكا ، أهذه أنت ؟

☆☆☆





## الفصل الرابع والعشرون

### القلعة تحترق

أخبر سيدريك الفارس الأسود ولوكسلي عن رسالة أولريكا ، بالرغم من أنه لم يضع فيها ثقة كبيرة وفرحا بأن لهما نصيرا داخل القلعة ، ووافقا على القيام بهجوم في أقرب وقت ممكن .

واستغل الفارس الوقت في تشييد جسر عائم تمكنون بواسطته أن يعبروا خندق المياه . ولم يأسفوا على الوقت الذي صرفوه في هذا ، لأنه أعطى أولريكا فرصتها لتنفيذ خطتها . وعندما انتهوا من تجهيز الجسر ، خاطب الفارس الأسود رجاله قائلا :

— ان الشمس الآن في طريقها للغرب ، وسيهجم

علينا فرسان بوا جلبرات من يورك ، الا اذا تصرفنا  
بسرعة . سأرسل واحدا منكم الى لوكسلى ليخبره  
بقصف الجانب المقابل من القلعة بالسهام ، ويتقدم  
برجاله ، وكأنه على أهبة الهجوم . وأنتم يا أصحاب  
القلوب الانجليزية الصادقة تقفون بجانبى استعدادا  
لطرح الجسر فوق خندق المياه ، ثم تتبعونى بكل جسارة  
لنعبره ، وتساعدونى فى فتح البوابة الخلفية للقلعة . .  
وعندئذ نسمى باسم الله ، ونفتح الباب !

وفجأة فتح باب البرج الخارجى ، المقابل للباب  
الخلفى للقلعة ، وطرح الجسر العائم ، وفى الحال ،  
وصل الفارس الأسود ووراءه سدريك الى الجانب  
الآخر . وهنا بدأ يقصف بفأسه فوق بوابة القلعة وكانت  
تحميه بعض الشىء أطلال الجسر القديم الذى دمره  
بوا جلبرت ، عند انسحابه من البرج الخارجى . ولم  
يجد الرجال الذين خلف الفارس هذه الحماية ، فسقط  
اثنان على الفور مطعونين بسهمين ، وسقط اثنان آخران  
فى خندق المياه ، وانسحب الباقون الى البرج .

وكان وضع سدريك والفارس الأسود فيه خطيرة  
واضحة ، لولا الرماة فى البرج الذين كانوا يقذفون



واخذ يضرب البوابة بفاسه

بوابل من السهام على أسوار القلعة ، فيصرفون عنهما  
انتباه المدافعين من داخل القلعة .

### وصرخ دى بارسى :

— يا للعار ، هل تعتبرون أنفسكم جنودا وتدعون  
هذين الكلبين يحتفظان بموقعهما تحت أسوار القلعة !  
ألقوا عليهما الحجارة من فوق الأسوار .

فى هذه اللحظة التقط نظر المهاجمين العلم الأحمر  
فوق البرج الغربى الذى وصفته أولريكا لسدريك .  
وكان أول من لاحظ ذلك هو لوكسلى الذى صرخ قائلا :

— أيها القديس جورج ! اهاجموا أيها الرجال  
الصناديد ! لماذا نترك سدريك والفارس الأسود يهاجمان  
البوابة وحدهما ؟ القلعة أصبحت قلعتنا ، لدينا فيها  
أنصار . وهذا العلم هو الإشارة المتفق عليها . هيا  
يا من تستنشقون رائحة الحروب !

وبدا هو هجومه ، فصبوب قوسه الطيب وأرسل  
سهما اخترق فورا صدر أحد الرجال المسلحين الذى  
كان على وشك القاء قطعة ضخمة من الحجارة على رأسى

سدريك والفارس الأسود . وتوالت السهام فى صدور  
ورؤوس المدافعين ، فأخذوا يتساقطون من السور الى  
خندق المياه .

### فقال دى بارسى :

— هل تتقهقرون يا جبناء !

وأخذ المعول من أحد رجاله ، وأمطر بضرباته  
قطعة ضخمة من أحجار السور التى أوشكت على  
السقوط . وكان وزنها يكفى ، لو سقطت أن تحطم  
الفارسين والجسر العائم أيضا . ورأى الجميع الخطر  
المعلق . وتجنب الجميع الوقوف فوق الجسر . وصوب  
لوكسلى بقوسه الطيب ثلاث مرات على دى بارسى ،  
ولكنها ارتدت كلها بسبب الدرع الذى يرتديه .

### فقال لوكسلى :

— اللعنة على هذه السترة الفولاذية الأسبانية .

ثم بدأ ينادى قائلا :

— أيها الأصدقاء ! النبيل سدريك - أرجوا ،

ودعوا الأطلال تتساقط !

ولم يسمع تحذيره ، بسبب الصيحة التي كانت  
تصدر من ضربات الفارس نفسه على البوابة .  
وبدأت قطعة السور الضخمة تهتز - ودى بارسى  
يعمل بسعوله في اخلاص ، وكاد ينجح ، لولا صوت  
بوا جلبرت جاء له قرب اذنيه قائلا :

... ضاع كل شيء . دى بارسى .. القلعة تحترق !  
كل الجانب الغربى تلتهمه النيران . لقد بذلت قصارى  
جهدى فى اطفائها بلا جدوى .

**فقال دى بارسى :**

... يا قديسى السماء ، ما العمل ؟

**فقال بوا جلبرت :**

... اسمع . خذ رجالك وانزل بهم . وافتحوا  
البوابة الخلفية . لا يوجد الا رجلاان على الجسر . القوا  
بهما فى الخندق ، وادفعوا بالجسر الى البرج الخارجى .  
وسوف أندفع أنا من البوابة الرئيسية لأهاجم البرج  
من الجانب الآخر . وانا استعدنا هذا البرج ، فسنقدر  
على الصمود حتى تأتيها المساعدة .

فقال دى بارسى :

— انها خطة جيدة •

وأسرع فى جمع رجاله ، واندفعوا نازلين الى  
البوابة الخلفية ، وعملوا على فتح البوابة • ولكن ،  
ما كان هذا يتم • الا وانطلق الفارس الأسود بقوة  
مهولة فشق طريقه الى الداخل ، بالرغم من دى بارسى  
وأعوانه • وسقط رجلان ، وتراجع الباقون ، فقال دى  
بارسى :

— كلاب ! هل تدعان رجلين يفوزان بالسبيل  
الوحيد للأمان •

فقال رجل مدرع وهو ينهار من ضربات الفارس  
الأسود :

— انه شيطان وأسود •

فصرخ دى بارسى :

— دعنى أتعامل معه بنفسى •

وجلجل المر بضربات دى بارسى بسيفه والفارس

الأسود بفاسه • وأخيرا استقبل دى بارسى ضربة أطاحت به على الأرض • فقال الفارس الأسود وهو ينقض فوقه :

— دى بارسى ! استسلم أفضل لك •

**فأجاب دى بارسى :**

— لن استسلم لشخص مجهول ! افصح عن اسمك !

فهمس الفارس الأسود فى أذنه بعض كلمات . جعله يغير من نبرة صوته الى نبرة خضوع واذعان وقال فى طاعة مذهشة :

— سلمت نفسى !

**فقال الفارس الأسود :**

— اذهب الى البرج الخارجى ، وانتظر هناك أوامرى •

**فقال دى بارسى :**

— دعنى أقول لك أولا ما يهمك الوقوف عليه :



ان ولفريد ايفانهو جريح وأسير ، وستلتهمه نيران  
القلعة . الا اذا أنقذ فى الحال . ان هذا السلم يؤدي الى  
حجرته .

وأثناء هذا القتال والمحادثة الوجيزة التى حدثت  
فى نهايته . كان سدريك قد عبر الجسر مع مجموعة  
من الرجال ، وصدوا أتباع دى بارسى الى الساحة .  
وسلم دى بارسى سيفه الى لوكسلى ، الذى التقى به  
مصادفة .

وعندما ازدادت النار ، وجاءت علاماتها الى الحجرة  
التى فيها ايفانهو ، وربىكا التى تسهر عليه . وكان قد  
استيقظ من غفوته القصيرة بسبب أصوات المعركة .  
ووقفت ربىكا ، اذعانا لرغبته القلقة ، أمام النافذة .  
ولكن الدخان منعها من رؤية أى شئ . وأخيرا كانت  
كمية الدخان الكبيرة التى تصاعدت الى الحجرة .  
والصرخات من أجل الماء التى تعالت على صوت المعركة  
انذارا لهما عن خطرهما الجديد .

**فقالت ربىكا :**

— ان القلعة تحترق ! ماذا نفعل لننجو بأنفسنا .

**فقال ايفانهو :**

— اهربى ، يا ربيكا ، وانقذى حياتك ، واتركينى  
لارادة الله .

**فاجابت ربيكا :**

— لن اهرب . سننجو معا أو نموت معا .  
ودخل الحجرة عندئذ بوا جلبرت وكانت هيئته  
مرعبة ، فدرعه محطمة وملطخة بالدم ، وخوذته عليها  
آثار الحريق ، وصاح فى ربيكا :

— لا يوجد الا سبيل واحد للنجاة . لقد اجتزت  
طريقى عبر مخاطر كثيرة لأصل اليك ، وأقول لك ذلك .

**فقالت ربيكا :**

— أفضل عندى أن تلتهمنى النيران ولا أقبل  
النجاة منك .

— ليس لك الخيار يا ربيكا . لقد هربت منى  
مرة ، ولكنك لن تهربى منى مرتين .

وأمسك بالفتاة المرعوبة ، وحملها بين ذراعيه  
وخرج بها من الحجرة ، بالرغم من صرخاتها . ودون  
أن يعبا بالتهديدات العاجزة التى أطلقها ايفانهو عليه .  
ودخل الفارس الأسود الحجرة فى هذه اللحظة  
وقال :

— لولا صراخك يا ايفانهو لما استطعت العثور  
عليك .

**فقال ايفانهو :**

— ان كنت فارسا حقا ، فلا تحفل بى . . . . وتعقب  
هذا الرجل الخارج من هنا . . . . وانقذ ليدى رويينا . . . .  
وابحث عن النبيل سدريك .

**فقال الفارس الأسود :**

— كل بدوره . ولكن دور انقاذك أولا .  
وأمسك بايفانهو ، وحمله بكل سهولة ، كما حمل  
بوا جلبرت ربيكا . واندفع به الى البوابة الخلفية .  
وهناك سلم حمله لاثنين من الخارجين على القانون ، وتركه  
فى رعايتهما . ثم دخل القلعة مرة أخرى ليساعد فى  
انقاذ الأسرى الآخرين .

كان أحد الأبراج تلتهمه النيران التى تتطاير  
بعنف من نافذة الى أخرى . وتتبع المهاجمون المدافعين  
من حجرة الى أخرى . وكان الهواء يزخر بالصراخ وجلبة  
الدروع ، والأرضيات يبللها الدم .

واندفع سدريك وسط هذه الفوضى للبحث عن  
روينا . ووصل لحجرتها بعدما فقد كل امل فى  
انقاذها .

أما اثلستين ووامبا فلقد هربا من حجرتهما الى  
الساحة التى كانت مشهدا من مشاهد المعركة . وهنا  
جلس بوا جلبرت فوق جواده ، محاطا بالعديد من  
رجاله . ولقد تم انزال جسر البوابة الرئيسية فامتد  
فوق خندق المياه ، ولكن حاملى الأقواس قد تزاحموا على  
المدخل ليمنعوا هروبهم .

ووضع بوا جلبرت ربيكا فوق جواده أمام أحد  
خدمه فى وسط مجسوة رجاله .

وعندما جاء اثلستين الى الساحة ، رأى ربيكا من  
بعيد ، فاعتقد أنها رويينا التى يحملها الفارس . فانتزع  
فأسا من قبضة رجل ميت واندفع نحو بوا جلبرت  
صارخا :

— التفت ، أيها الفارس المزيّف ، واطرك من لست  
جدير بلمسها •

**فقال بوا جلبرت :**

— يا كلب !

ومن فوق جواده انزل بضربة رهيبة على رأس  
ثلستين ، فالتقاء أرضا بلا حراك ، ثم صرخ عاليا :

— من يريد أن ينقذ نفسه فليتبعنى !

وركض بوا جلبرت عبر الجسر ، مبعثرا فى حاملى  
لأقواس ومن ورائه خدمه ، وبعض الرجال المدرعين •  
وكانت النيران تنتشر بسرعة عبر جميع أرجاء  
لقلعة ، عندما ظهرت أولريكا فوق البرج • يتطاير  
شعرها الأشيب الطويل من ورائها •

وتصاعدت السنة النيران الى عنان السماء  
وتساقطت الأبراج ، الواحد تلو الآخر • وكانت هيئة  
ولريكا المتوحشة تبدو للعيان لفترة طويلة • وأخيرا  
نهار البرج كله من تحتها ، وتلاشت هى فى السنة  
لنيران التى التهمت سيدها ، فرونت دى بواف •• !!



## الفصل الخامس والعشرون

### قانون الخارجين على القانون

طلع الفجر على الغابة ، فلمعت فروع الأشجار الخضراء بكل لآلىء الندى العالق بها . وتجمع الخارجون على القانون حول سنديانتهم المعهودة ، ينتظرون توزيع المقانم والاسلاب التى حملوها من القلعة .

اتخذ لوكسلى له مقعدا ، وأعطى الفارس الأسود مقعدا عن يمينه ، وسدريك مكانا عن شماله ، وقال :

— أيها النبيل سدريك ، هيا الى توزيع المقانم ، ولتكن الى قسمين . ولك أن تختار أيا منهما كهدية لرجالك الذين شاركوا فى هذه المغامرة .

فقال سدريك :

— ايها السيد الطيب ، ان قلبي مغمم بالحزن ،  
لقد مات النبيل اثلستين . . ولقد انتظرت فقط لأحمل  
جسمانه الى مشواه الأخير . اننى لم ابق لأشارك فى  
الأسلاب ، ولا أنا ولا أحد من رجالى سيقبل أى شئ  
منها . وأود فقط أن أتقدم لك بالشكر ، وكذلك لرجالك  
الشجعان لانقاذكم حياتنا وشرفنا . أما عن رجالى ، فانى  
سأتكفل بمكافاتهم من ثروتى الخاصة .

**فقال ومبا :**

— البعض كانوا حكماء بما فيه الكفاية ، فكافأوا  
أنفسهم بأنفسهم . ولم يمشوا خاليى الوفاض .

**فقال سدريك بعد أن استدار وحضنه :**

— ولكن كيف لى ان أكافئك يا وامبا يا مسكين ،  
وانت الذى لم يخش القيود ولا الموت من أجلى ؟ فالكل  
تخلوا عنى الا المهرج ، ظل وفيا مخلصا .

**وتحجرت دمة فى عينى سدريك ، فقال وامبا :**

— ان كنت ستكافئنى بدموع عينيك ، فلا بد لى أن



أبكى حفاظا للصحبة ، ولكن المهرج لا يجب أن يبكى ،  
فوظيفته الضحك . ان كنت حقا تريد مكافأتي ، فأرجوك  
أن تعفو عن رفيق لعبي جورث .

**فصاح سدريك :**

- أعفو عنه ! بل سأطلق سراحه . اركع  
يا جورث . . . اذهب فأنت حر طليق . . . وأهبك مزرعة  
من مزارعي لك ولأولادك من بعدك .

وقفز جورث على قدميه ، فهو لم يعد عبدا بل رجل  
حر ، وصاحب مزرعة ، فصرخ قائلا :

- اقطعوا هذا الطوق النحاسي من عنقي ! سيدي  
النبيل ! ان قوتي قد تضاعفت بهديتك ، وسأقاتل من  
أجلك أضعافا مضاعفة .

ونهض سدريك يودع هؤلاء الرجال ويشكرهم على  
بطولتهم ونصرتهم للنبيل والفضيلة والحق ، وعبر عن  
امتنانه الخاص للفارس الأسود ، ودعاه الى مصاحبته  
لقصره في روثروود .

**فقال الفارس الأسود :**

— سأزورك ، وقريبا ، وربما سأطلب منك هناك  
هدية أيضا تكون اشارة لكرمك .

فقال سدريك معطيا يده للفارس الأسود :

— هديتك مجابة من الآن .

**فقال الفارس :**

— لا تتسرع في وعدك ، والى لقاء .

وخلع لوكسلى ، عندئذ ، بوقه الجميل من عنقه ،

**وقال :**

— أيها الفارس ، أرجو منك أن تتقبل هذا لذكرى  
اعمالك البطولية ، واذا حدث وهو جمعت فى الغابة ،  
فانفخ فى هذا البوق ثلاث مرات ، هكذا ..... وستجد  
من يهب لمعاونتك !

**فقال الفارس الأسود :**

— اشكرك على هديتك .

ونفخ فيه النفخات الثلاث ، فجلبجت الغابة كلها .

**فقال لوكسلى :**

- اود لو سمعنا اخبارا عن الناسك الشجاع . انه  
عادة لا يغيب عند تناول الطعام أو تقسيم الغنائم .  
ولم ينته من كلامه الا وسمع خبر وصوت الناسك .  
الذى يصرخ قائلا :

- افسحوا المكان يا أهل السعادة . مكان لرجلكم  
المقدس والأسير الذى انفك أسر . أين الآن أديل لينظم  
قصيدة عنى ؟

ومن بين ضحكات الجميع ظهر فى جلال ممسكا  
سيفه الضخم فى يد ، وقائدا بالآخرى اسحق اليهودى .  
فقال الزعيم :

- والآن ، أيها اليهودى ، فكر جيدا فى الهدية  
التي ستقدمها لنا مقابل انقاذنا لك بهذه النبالة . ولكن  
هناك أسير آخر ترى يجب أن نراه أولا . ها هو الرجل  
الثرى .

وامتثل صديقنا القديم الراهب ايمر جورفولكس  
امام عرش زعيم الخارجيين على القانون ، مصحوبا باثنين  
منهم .

وبدا على ملامح الراهب خليط غريب من الكبرياء،  
المجروح والفرع الجسماني ، وقال :

— لماذا الآن ! وما معنى هذا ؟ من أنتم حتى تعاملون  
رجلا من رجال الكنيسة بهذه الطريقة . لقد أخذتم  
رسائلي ، ومزقتم عبايتي الجميلة . . ان أحدا غيري كان  
سيلقى اللعنة عليكم . . ولكني مسالم ، وإذا جلبتم لي  
جوادي ، وأطلقتهم صراح أتباعي ، وأعدتم لي رسائلي ،  
ودفعتهم لي مائة قطعة فضية ، ووعدتم بعدم أكل اللحم  
ثلاثة أشهر ، فقد لا تسمعون عن هذه المغامرة الحمقاء  
نانية .

### فقال زعيم الخارجين على القانون :

— أبانا المقدس ، يؤسفني أن تلقى مثل هذه  
المعاملة من بعض أتباعي التي تسببت في عدم رضاك  
عني .

### فقال الراهب :

— معاملة ! ها هو انسان سافل اسمه ألان اديل  
الذي هدد بضربي ، بل حتى بقتلي ، اذا لم ادفع له

أربعمائة قطعة فضية . . هذا بعد أن سلب منى سلاسل  
وخواتم ذهبية لا تقدر بثمن . وأقسم أن يشنقنى فوق  
أعلى شجرة بالغابة !

— هل فعل ذلك ، حقا ؟ اذن ، أيها الأب أظن من  
الافضل لك أن تدفع ما طلبه منك ، لأن الآن اديل رجل  
يفى بالوعد .

**فقال الراهب المندهش فى ضحكة مصطنعة :**

— انك تنكت . وأنا أعز النكتة الجيدة جدا جدا .  
ومن كل قلبى . . . ها ها ها ! . . .

**فقال الخارج على القانون :**

— ولكنى جاد . عليك أن تدفع لنا مبلغا كبيرا  
من المال والا لن ترى أصدقاءك ثانية .

**فقال الراهب غاضبا :**

— حسن ، اذن ، ماذا على أن أدفع ؟ ماذا على  
أن أدفع مقابل سيرى فى طريق عام بدون خمسين  
رجل يحمونى ؟

**فقال واحد من الخارجين على القانون :**

— من رأيي أن يذكر الراهب ما يجب أن يدفعه اليهودي ، واليهودي يذكر المبلغ الذي يدفعه الراهب .

**فقال الزعيم :**

— انك لرجل مخبول ، ولكن خطتك ممتازة !  
أيها اليهودي ، تقدم الى هنا . انظر الى هذا الراهب  
أيمر ، رئيس أغني دير في جورفولكس ، وأخبرنا  
كم من المال يدفعه لنا مقابل حريته . اني متأكد انك  
تعرف ما في الدير من أموال .

**فقال أسحق :**

— أوه ، نعم ، لقد تعاملت مع الآباء الطيبين ،  
أحضرت لهم قمحا وفواكه وأخشابا كثيرة . انه دير  
ثري جدا .

**فقال الزعيم :**

— كم عليه أن يدفع يا أسحق ؟

**فقال أسحق :**

— ستمائة قطعة • يستطيع ذلك بكل سهولة •

**فقال الزعيم :**

— وهو كذلك ، وماذا تقول أنت أيها الراهب  
أيمر بالنسبة لليهودى ، هل يستطيع أو يدفع مبلغا  
طيبا ؟

**فاجاب الراهب :**

— يستطيع أن يدفع ١٩ ! • • التقرير يقول أن  
منزله فى يورك مملوء بالذهب والفضة • لا تأخذ منه  
أقل من ألف قطعة !

**فقال اليهودى :**

— يا اله آبائنا ساعدنى ! اننى اليوم وحيد  
بدون ابنتى ، وستأخذون كل ثروتى ، أيضا ؟ أوه  
ربىكا اينتى من راشيل حبيبتى • لو كانت كل ورقة  
من أوراق هذه الشجرة من ذهب ، وكلها ملكى ،  
لقدمتها عن طيب خاطر ، لأعرف أين أنت ان كنت  
حية وفرت من الأعداء !

**فقال أحد الخارجين على القانون :**

- هل ابنتك ذات شعر أسود وتضع حجابا  
موشحا بالفضة ؟

**فقال الشيخ مرتعشا من اللهفة :**

- نعم هي ! هي ! حلت عليك البركة ! هل  
تعرف شيئا عنها ؟

**فقال الرجل :**

- انها هي ، اذن ، التي كان يحملها بوا جلبرت  
الذى شق بجواره صفوفنا بالامس . وكنت سأرميه  
بسهم ، ولكنى خفت ان أصيبها بدلا منه .

**فاجاب اليهودي :**

- اوه ! ياليتك رميت حتى ولو اخترق السهم  
صدرها . فقبر آبائها أفضل من وصمة العار !  
لقد رحل البهاء من منزلى !

**فقال الزعيم ، متطلعا حوله :**



- أيها الأصدقاء ، لقد أثر فى الرجل بأحزانه .  
أصدقنا القول يا أسحق .. هل لو دفعت لنا الألف  
قطعة تصبح مفلسا ؟  
فامتقع لون أسحق ، وتلعثم ، ولم يستطع انكار  
وجود مزيد من المال .

### فقال الخارج على القانون :

- حسن .. لن ندخل فى التفاصيل ، ولكنك  
بدون نقود لن تستطيع استرداد ابنتك من بريان  
دى بوا جلبرت . فأسرع وهز كيس نقودك فى آذان  
بوا جلبرت ، فلقد أخبرنا كشافونا بأنه موجود فى  
منزل فرسان الهيكل . أما بالنسبة لنا فلن نأخذ  
منك أكثر من الراهب أيمر .. أو حتى أقل منه  
بمائة قطعة ، التى سأدفعها أنا لك . وبذلك يتبقى  
معك خمسمائة قطعة ثمن استرداد ابنتك . وفرسان  
الهيكل يحبون بريق الفضة مثلما يحبون بريق  
العيون السوداء .

فأبدى الخارجون على القانون موافقتهم على رأى

زعيمهم ، الذى ارتضى اسحق عند اقدامه ، فقال  
الزعيم متراجعا :

— لا ، اركع لله ، لا لمذنب مسكين مثلى .

فقال الراهب ايهر :

— اذا صادقتنى ، شملتك وابنتكم ربيكا  
بمساعدتى . انى حزين عليها ، فهى جميلة ولها وجه  
مريح . لقد رأيتها فى المهرجان بأشبهى . وفى امكانى  
التصرف مع بواجلبرت .

واخذ لوكسلى اسحق على جنب وقال له :

— نصيحتى يا أسحق ان تتخذ من الراهب  
صديقا . اننى مستعد أن أساعدك لأننا صديقان  
قديمان ألا تذكر الرجل الجريح الذى أنقذته ابنتك  
الحبيبة ربيكا من الأسر فى يورك ، واحتفظت به فى  
منزلك الى ان استرد صحته ، ثم صرفته بقطعة من  
النقود ؟

فقال اسحق :

— أهو انت ؟ كان اسمك ويكون رامى القوس ،  
أليس كذلك ؟ ان صوتك ليس غريبا عنى \*

### فقال الزعيم :

— نعم أنا رامى القوس ، ولوكسلى ، ولى اسم  
طيب السمعة بجانب كل هذه الأسماء . انى حزين على  
ابنتك . ولكنى لا أستطيع مساعدتك . فان حراب  
فرسان الهيكل قوية على رجالى النبالين ، انهم ينثرونا  
مثل حفنة تراب . لو كنت أعرف أنها ربيكا عند  
اختطافها ، لاختلف الوضع ، ولكن القوة الآن لا تفعل  
شيئا . تعال ، هل أكلم لك الراهب ؟

— وحق الله يادىكون ، مساعدنى لاسترداد  
طفلتى ، حبة قلبى !

### فقال الزعيم :

— أيها الراهب أمير ، تعال معى تحت هذه  
الشجرة . لقد سمعت أنك تحب الطعام الجيد والنبيد  
المعتق . وسمعت أنك تحب الكلاب الأصيلة والجياد  
السريعة وأشياء أخرى تكلف كثيرا . ولكنى لم أسمع

أبدا انك تحب الفعل السيء أو القسوة • هل تكتب رسالة لفارس الهيكل لمساعدة اسحق فى استرداد ابنته ؟

**فقال ايمن :**

— حسن ، ان كان ولا بد ؛ فأتنى بقلم • ولكن أين أجد قلما ؟

**فقال الخارج على القانون :**

— أستطيع أن أجد لك قلما !

وصوب قوسه نحو طائر كبير كان يطير فوق رؤوسهم • وسقط الطائر بسهمه المغروس فيه •

**فقال الزعيم :**

— اليك ، أيها الراهب ، بالريش الذى تصنع منه أقلاما تكفى كل رهبان جورفولكس لمدة قرن من الزمان •

فجلس الراهب ودون ببطء رسالة الى

بواجلبرت . وختمها بعناية ، وسلمها لليهودي ،  
وهو يقول :

— هذه ستدخلك منزل فرسان الهيكل في  
تمبلستو بسلام ، واعتقد أنها ستحقق لك استلام  
ابنتك اذا أضفت لها مبلغا طيبا من المال ، لأن الفارس  
الطيب بوا جلبرت لا يفعل شيئا مقابل لا شيء .

واستمع الفارس الأسود لكل هذا صامتا  
لا ينبس ببنت شفة ، وودع كل الخارجين على القانون  
فردا فردا ، وأفصح معبرا عن اندهاشه لمشاهدة كثير  
من العدالة البسيطة بين أشخاص خرجوا عن حماية  
القانون ونفوذه .

**فقال الزعيم :**

— ان الشجرة الرديئة قد تحمل أحيانا ثمرا  
شهييا . فالظلم والاستبداد وسوء المعاملة ، قد حملت  
هؤلاء الناس على أن يعيشوا بهذه الطريقة . ولكل  
منا سره الخفي ! ياسيدي الفارس .

**فقال الفارس الأسود :**

— قد نتقابل فى يوم قريب ويكشف كل منا  
للآخر عن حقيقته • أما الآن ، فنحن نفترق كأصدقاء ،  
أليس كذلك ؟

**فقال لوكسلى :**

— هذه يدى على ذلك ، يد رجل انجليزى  
صادق • بالرغم من أنه خارج عن القانون حاليا •

**فقال الفارس :**

— وهذه يدى أقدمها لك ، والتى تشرفت  
بمصافحتك • لأن الذى يعمل صالحا وهو قادر على  
عمل الشر ، يستحق ثناء مضاعفا •• ثناء على الخير  
الذى عمله ، والشر الذى لم يعمله • وداعا أيها  
الخارج على القانون الشجاع !

رامتطى جواده الحربى القوى ، وركض عبر  
الغابة ••

★★★

## الفصل السادس والعشرون

### اعداد جريمه قتل

أقام الأمير جون وليمة عظيمة في قلعة يورك ، دعا فيها من عليّة القوم من توسم فيهم أن يساعده على الاستيلاء على عرش أخيه ريتشارد .

ولقد شاع في أنحاء مدينة يورك ، في صباح اليوم التالي لسقوط قلعة توركويل بعض الأنباء المتضاربة عن أسر أو ذبح دى بارسى وبوا جلبرت وفرونت دى بواف : ونقل والدمار هذا الأمر للأمير جون ، واذا بدى بارسى يدخل بعدها بقليل ، ويقول :

— بوا جلبرت لاذ بالفرار ! أما فرونت دى بواف فقد دفن في قبر أحمر وسط أنقاض قلعته المتأججة

بالنيران ، وأسوأ خبر لم أقله بعد ، ألا وهو أن ريتشارد  
فى انجلترا • لقد رأيته وتحدثت معه • وهو الآن يسير  
فى الغابة بمفرده •

فتطلع الأمير جون لوالدمار ، وقال بوجه ممتقع :  
— لا يوجد الا طريق واحد للأمان ، القبض عليه  
واعتقاله •

### فقال والدمار :

— من رأى أن أفضل معتقل هو القبر • استدع  
هيوج باردون وليحضر معه اثنين ممن يعرفون الغابة  
جيذا ويفهمون فى اقتفاء الأثر • وسأذهب معهم •  
فقال الأمير :

— من تريد من الأتباع ؟

— ثورسبى ، وستيفان ••• الملقب بالقلب  
الفولاذى لقسوته ••• وثلاثة رجال يطلقون عليهم رماح  
التجسس •

### فقال الأمير :

— لك هذا !





## الفصل السابع والعشرون

### الزعيم الدينى لفرسان الهيكل

تعود حكايتنا الآن الى اسحق يورك ، راكب الجواد الذى اهداه له لوكسلى ، مع اثنين طوال القامة من الخارجين على القانون يعملان على حراسته وارشاده متجها الى منزل فرسان الهيكل فى ثمبلستو .

كان المنزل مشيدا بين مراعى وحقول جميلة وكأنه حصن منيع . فهناك رجال مدرعة فى ستر واقية سوداء ، تحرس الجسر المعلق ، وآخرون فى مسوح سوداء أيضا ، يسرون جيئة وذهابا حول الأسوار فى خطوة جنائزية .

وكان الزعيم الكبير لفرسان الهيكل يسير كذلك .

فى حديقة صغيرة داخل الأسوار ، يجرى محادثة حزينة  
وسرية مع أخ فى الرهينة الذى عاد هو وفرقته من  
فلسطين .

كان الزعيم الكبير طاعنا فى السن وذا لحية  
شيباء طويلة ، وحاجبين أشيبين نافرين فوق عينيه ،  
لا تستطيع السنين أن تخفت نارها . ويعكس وجهه  
ملمح صرامة الجندى وفى نفس الوقت كبرياء المتدين  
لرجل شديد القناعة بقداسته .

أما رفيقه الذى يعمل على ادارة شئونه الشخصية ،  
كوكيل لأعماله ، فقد كان يرتدى عباءة بيضاء موشى  
عليها صليب أحمر مثل عباءة الزعيم الكبير ، ولكن  
تواضعه الشديد تجاه رئيسه يدل على الفارق الكبير  
فى المنزل .

### وقال الزعيم الكبير :

- عزيزى كونراد ، يا رفيق معاركى وكفاحى ،  
الذى لا أبوح بأحزاني الا لصدره المخلص الحنون .  
انى أفضل أن أقاسى من آلاف الأعداء فى ساحة الوغى ،  
عن أن أشهد انهيار طريقنا المقدس !

### فاجاب كونراد :

— هذا صحيح فسلوك الاخوة فى انجلترا أسوأ من الاخوة فى فرنسا . لقد نسوا انهم رهبان نذروا أنفسهم للفقر والزهد والتقشف .

### فقال الزعيم الدينى :

— لأنهم ازدادوا ثراء . . . ماذا تقول قواعد الرهينة عندنا ، والى أى مدى يحافظ الاخوة الرهبان عليها ؟ القواعد تقول أنهم لا يجب أن يتحلوا بالزينة الدنيوية الزائلة ، مع هذا ، فمنهم من يستعرض مظهره بكل هذا التباهى والابتهاج مثل جنود المعبد ؟ وهم ممنوعون من الصيد ، ومع هذا ، من هو منجهز ومستعد مثل فرسان الهيكل فى رياضاتهم الحمقاء والعقيمة ؟ ويجب أن يكون شرابهم ماء قراحا ، والآن شعار أن « تسكر مثل فارس الهيكل » يتبجح به كل ثمل لنديمه . وهم مأمورون أن يستأصلوا السحر والعقائد الدنية الزائفة من جذورها ، وهم يتدارسون السحر السرى لليهود . سوف أطهر هذا الهيكل ، وأما الأحجار المتسخة فسأزيلها .

وفى أثناء هذا الحديث قدم الى الحديقة خادم •  
وانحنى باحترام شديد للزعيم الكبير ، ثم وقف ينظر  
السماح له قبل أن يجرؤ على الكلام ، فقال الزعيم  
الكبير :

– تكلم ، يا دميان •

**فقال دميان :**

– ان بالبواب رجلا يهوديا ، يا قداسة الأب النبيل •  
انه يرغب فى مقابلة بريان دى بوا جلبيرت •

**فقال الزعيم الكبير :**

– أصبت فى أن تخبرنى بهذا • ان الراهب  
لا يجب أن يمشى حسب ارادته ، ولكن حسب ارادة  
الزعيم • ومن المهم أن نعرف عن قضايا بوا جلبيرت هذا •

**فقال كونراد :**

– مشهود له أنه شجاع •

**فقال الزعيم الكبير :**

– حقا ، يقال عنه هذا ، ولكن الأخ بريان كان

كثير اللغط ، لقد أثار المشاكل ، لقد كان قائدا لهؤلاء ،  
الذين عصوا سلطتي .

**واستمر قائلا :**

— دميان ، أدخل اليهودى .

وبعد قليل عاد دميان ومعه اسحق اليهودى ،  
**فقال الزعيم :**

— دميان ، انصرف ، ولا تسمح لأحد بدخول  
الحديقة حتى أتركها .

فانحنى الخادم وانصرف . **واستمر الرجل العجوز  
المعجب بنفسه قائلا :**

— أيها اليهودى ، استمع الى . انى لا أضيع الوقت  
أو الكلمات على أى شخص . ولذلك ، كن مقلا مدلا فى  
اجاباتك عن أسئلتى . وحذار من الكذب والا انتزعت  
لسانك من فمك !

وأوشك اليهودى على الاجابة . **ولكن الزعيم الكبير  
استمر قائلا :**

— سكوت ! ولا كلمة فى حضورى الا للاجابة على  
أسئلتى • ما علاقتك ببريان دى بوا جلبرت ؟

فارتاع اسحق وارتاب من هذا الاستقبال وسكت  
ولم يجب • فاذا روى حكايته ، فقد يكون كلامه مسيئا  
للنظام المقدس لفرسان الهيكل ، ومع ذلك ، اذا لم  
يتكلم ، فلا أمل فى استرداد ابنته • فرأى الزعيم الكبير

مخاوفه ، فحاول تهدئته قائلا :

— لا تخف شيئا اذا كنت صادقا • وأطلب ثانية  
معرفة علاقتك ببريان دى بوا جلبرت •

**فتلثم اليهودى قائلا :**

— انى حامل رسالة ، يا صاحب القداسة ، الى هذا  
الفارس الطيب من الراهب أيمر •

— اعطنى الرسالة !

فأخذ اسحق الرسالة من قلنسوته بيد مرتعشة ،  
وناولها لكونراد الذى أعطاها للزعيم الكبير •

**فقال كونراد :**

– هل ستفرض الرسالة يا مولاي ؟

**فقال الزعيم عابسا :**

– ولم لا ! أليس مسجلا فى القانون رقم ٤٢ أنه لا يحق لراهب الهيكل أن يستلم رسالة ، حتى من أبيه ، بدون أن يطلع الزعيم الكبير عليها ؟

وقرأ الرسالة بسرعة فى اندهاش واشمئزاز • ثم أعاد قراءتها ببطء أكثر • ثم فاولها لكونراد بيد ، وضاربا عليها باليد الأخرى ، قائلا :

– ها هى كلمات جميلة لرجل مسيحي يكتبها  
آخر •

فأخذ كونراد الرسالة ، وقال له الزعيم :

– اقرأها بصوت عال •

**وقال موجها كلامه لاسحق :**

– واستمع انت اليها ، لأننا سنسألك بخصوصها •

وقرأ كونراد الرسالة ، التى كانت كالآتى :

من : الراهب ايمر معبد جورفولكس •

الى : سير بريان دى بوا جلبرت •

فارس من رهبان الهيكل •

انى حاليا اسير قوم لا قانون لهم ، ومنهم علمت  
بنكبة صديقنا فرونت دى بواف ، وعلمت أنك هربت  
مع الساحرة اليهودية الجميلة ، التى ألقت بسحر  
عينيتها السوداوين عليك ! يسرنى أن أعرف أنك فى  
أمان ، ولكننى أحذرك من هذه الساحرة • فقد علمت  
أن زعيمكم الجديد الذى لا يهتم بالحدود الحمراء أو  
العيون السوداء قادم من فرنسا لكى يحرمكم من مباحج  
الحياة ، ويعدل من سوء تصرفكم • فكن على حذر • ان  
والد اليهودية الحسناء ، وهو ثرى من يورك ، قد طلب  
منى أن أوصيك به خيرا فكتبت له هذه الرسالة ،  
ونصيحتى اليك أن تطلق سراحها ، طالما أنه سيدفع  
لك أكثر مما تريد •

وحتى نلتقى فى جلسة حظ مقبلة أودعك خير  
وداع •

ايمر





وقال : ها هي كلمات جميلة !

— ماذا تقول عن هذا يا كونراد ؟ وماذا يقصد  
بهذه الساحرة التى تلقى بسحرها عليك ؟

فشرح كونراد الكلمات بمعنى أنه يقصد أن الفتاة  
جميلة جدا .

— يا كونراد ، هناك معنى آخر . أن ربيكا يورك  
هذه ساحرة حقا ، وتمارس السحر .

ثم التفت الى اسحق وقال بصوت عال :

— هل ابنتك أسيرة بوا جلبرت ؟

— نعم يا سيدى ، وأى مبلغ مطلوب لاطلاق  
سراحها ...

**فقاطعه الرئيس قائلا :**

— سكوت ! ان ابنتك تمارس فن شفاء الأمراض ،  
أليس كذلك ؟

— نعم يا سيدى الجليل . فكم من فارس وجندى  
قد شفته بفنها ، بينما فشلت الوسائل الأخرى .

**فالتفت الزعيم الى كونراد ، وقال :**

- أرايت أيها الراهب .

**ثم قال لاسحق :**

- آه أيها اليهودى المخادع ! كيف تتجاسر ابنتك وتقوم بسحر جنود المعبد ؟ دميان ! القى بهذا اليهودى خارج البوابة . وأرده قتيلا لو عاد ثانية . أما بالنسبة لابنته فسنعامل معها حسب القانون .

لا داعى أن نصف بالتفصيل محاكمة ربيكا أمام الزعيم الكبير . . انها مهزلة للعدالة . وصدر الحكم عليها بالحرق . وبقي أمل واحد لها . ففى تلك الأيام ، كان يسمح للأسير فى بعض الحالات أن يحاكم عن طريق معركة . ومعنى ذلك أن يتقاتل فارسان واحد يدافع عن انها مذنبه ، والآخر عن أنها بريئة . ويتقرر مصير الأسير حسب نتيجة المعركة .

**قالت ربيكا :**

- توجد ، مع هذا ، فرصة وحيدة للحياة أمامى ، حتى عن طريق قوانينكم الرديئة . لقد غدت الحياة بائسة . ولكنى لن أفرط فى هبة الله ، وعندى وسيلة

دفاع عنها • وأنكر هذه التهمة وأصر على براءتى •  
وأطالب بحقى فى أن أحاكم عن طريق معركة •

**فقال الزعيم الكبير :**

– ومن الفارس يا ربيكا ، الذى سيقاقل من  
أجلك •

**فقال ربيكا :**

– سيبعث الله بفارس ليقاقل من أجلي •

**فقال الزعيم الكبير ، بعد فترة صمت :**

– اذن ، نعين بوا جلبرت للقتال من أجل تحقيق  
العدل ، ولاثبات أن هذه الفتاة مذنبه حقا ، وسأعطى  
ربيكا مهلة ثلاثة أيام لتجند فارسا ليحارب من أجل  
براءتها •

واختلس الزعيم الكبير ابتسامة على مهارته ، ولم  
يجرؤ بوا جلبرت أن يرفض بالرغم من كراهيته  
للمهمة •

**وقالت ربيكا :**

- هل يوجد أحد هنا يتطوع بحمل رسالة لى ؟  
وسكت الجميع الا واحدا اجابها اخيرا :

- ليس لى الا ساق واحدة ، ووجود هذه الساق  
يعود الى رحمة اليهودية ومهارتها فى المعالجة . سأحمل  
رسالتك !

.ومن حسن الحظ انه لم يحتاج الى الذهاب بعيدا ،  
فاسحق كان منتظرا عند البوابة . وقرأ رسالتها .

والدى . . . ساموت ، لاتهامى بالسحر والشعوذة .  
ولكن اذا وجد حارس ليقاتل من أجل قضيتى فى خلال  
ثلاثة ايام من الآن ، فقد أنجو . واعتقد أن الفارس  
ايفانهو يقبل أن يقاتل من أجلى ، هذا اذا كانت صحته  
تسمح له بحمل وزن درعه . وأخبره أن ربيكا سوا-  
عاشت أم ماتت فهى بريئة من التهمة التى ألصقوها  
بها .

☆☆☆



## الفصل الثامن والعشرون

### ريتشارد ملك انجلترا

عندما غادر الفارس الأسود السنديانة العظيمة ،  
توجه الى دير القديس بوتولف ، الذى كان جورث وومبا  
قد نقلوا اليه ايفانهو .

**وقال لايفانهو :**

- سوف نلتقى فى مكان التعزية التى يعقدها  
والدك على اثلستين . وساحاول اصلاح الخلاف الذى  
بينك وبين ابيك . وارتاح أنت هنا اليوم . وسيدلنى  
وامبا على الطريق فى دروب الغابة . وداعا ، يا ولفريد ،  
ولا تسافر قبل الغد .

وشيعهما ايفانهو بأنظاره حتى تواريا فى ظلال

الأشجار ، ثم عاد الى الدير . وبعد قليل نادى طالبا  
جوده ، وانطلق وبجانبه جورث ، يقتفى أثر الفارس  
الأسود وقال :

— لقد أحسست بأنى استرددت صحتى ، عندما  
شعرت بأن أستاذى فى خطر .

وكان الفارس الأسود ووامبا يتوغلان فى الغابة .

**فقال وامبا :**

— أتوسل اليك أن تدعنى أرى البوق الذى أعطاه  
لك لو كسلى .

فأعطاه الفارس لوامبا ، الذى علقه على الفور حول  
عنقه ، وقال :

— اذا لم أكن مخطئا ، فمن الأفضل أن تستعد ،  
فهناك بعض الأشخاص بين تلك الأشجار يتتبعونا .

**فقال الفارس :**

— ما الذى جعلك تظن ذلك ؟

— لقد لاحظت بريق الفولاذ بين الأوراق الخضراء



أكثر من مرة • وإذا كانوا أشرفا لسااروا فى الدرب  
مثلنا •

**فقال الفارس ، وهو يفلق مقدمة خوذته •**

– اعتقد أنك على حق •

ولقد أغلقها فى الوقت المناسب ، لأن ثلاثة أسهم  
طارت من بين الشجيرات وضرب واحد منهم مقدمة  
الخوذة ، فقال الفارس :

– شكرا يا وامبا • هيا بنا نهاجمهم •

واندفع مباشرة نحو الشجيرات • فالتقى بحوالى  
سبعة رجال مدرعين فهجموا عليه برماحهم ، فارتطمت  
ثلاثة به ، وتحطمت دون أثر يذكر وكأنها صدمت  
برجا من الفولاذ • وبدت عينا الفارس الأسود تشعان  
لهيبا • وصرخ قائلا :

– ما معنى هذا يا سادة ؟

فانقض الفرسان بسيوفهم عليه من كل جانب  
وصرخ واحد منهم قائلا :

— فلتمت أيها الأمير المزيف !

فقال الفارس الأسود ضاربا رجلا عند كل كلمة يتفوهها :

— ها ! أيها القديس جورج ! ألدينا خيانة هنا ؟

فتراجع أعداؤه تهيبا لذراعه التي تحمل الموت في كل ضربة تهوى بها • واندفع فارس في درع أزرق كان مختبئا وراء الآخرين ، وصوب رمحه ، لا على الراكب ، ولكن على الجواد ، فأصاب الحيوان النبيل • وصرخ الفارس الأسود وهو يسقط مع جواده على الأرض ، قائلا :

— هذه ضربة قذرة !

وفى هذه اللحظة ، أمسك وامبا بالبوق ونفخ فيه • فتسبب الصوت المفاجيء في تراجعهم مرة أخرى • واندفع وامبا لمساعدة الفارس الأسود ، بالرغم من أنه لا يحمل الا سيفه • وصرخ الفارس ذو اندرع الأزرق قائلا :

— يا للعار ، أيها الجبناء المزيفون ! هل تهربون

من صوت بوق ينفخه مهرج ؟

فأثارتهم كلماته ، وهجموا على الفارس الأسود مرة أخرى ، فأسند ظهره الى احدى الأشجار وأخذ يدافع عن نفسه بسيفه . فأخذ الفارس الأزرق حربة أخرى وهجم عليه آملا أن يشبته فى الشجرة . ولكن وامبا ، المنتظر بجانبها غرز سيفه فى جواد الفارس . الأزرق . فسقط الجواد مع الرجل على الأرض . ولكن الفارس الأسود كان لا يزال فى خطر عظيم بسبب ضغط عديده من الرجال بشدة عليه ، وبدأت تظهر عليه علامات الارهاق ، عندما أصاب فجأة سهم أخطر خصم له وأطاحه أرضا . وامتلا بعد ذلك المكان بعدد من البخارجين على القانون الذين هبطوا من الأشجار ، وعلى رأسهم لو كسلى والناسك المرح العملاق تك ، الذى كان تملا فى أغلب الأحوال . وفى الحال لقي جميع أعداء الفارس الأسود مصيرهم السيئ ، اما موتى أو مشخنين بالجراح .

وتقدم الفارس الأسود وشكر منقذيه بجلالة ملكية لم يلاحظوها من قبل . فحتى ذلك اليوم كانت تصرفاته تصرفات جندى فظ جسور ، لا تدل على شخص من مرتبة نبيلة ، ثم قال :

– افتح خوذة الفارس الأزرق يا وامبا • يبدو أنه قائدهم •

وقام وامبا بذلك ، فصرخ الفارس الأسود :

– والدمار فتزورس ! أصدقنى القول ، من الذى حرضك على هذه الفعلة الحمقاء ؟

**فاجاب والسمار :**

– انه ابن أبيك ، الأمير جون •

– انك لن تطالب بحياتك •

– ان الذى يقع فى فكى الأسد يعرف أن هذا لا يجدى •

– اذن ، فحياتك لك دون أن تطلبها ، فالأسد

لا يهاجم الحيوان الجريح • ولكن عليك أن تغادر انجلترا خلال ثلاثة أيام • لو كسلى اعط الفارس جوادا •

**فتمتم لو كسلى :**

– قد أنقذ هذا الشخص من وعثاء السفر ، ومشقة

رحلة طويلة لو رميته بأحد سهامى • ولكن حدسى يقول لى انى أنصت لصوت أوامره يجب أن تطاع •

### فقال الفارس الأسود :

- انك لرجل مخلص وذكى يا لوكسلى ، وحدسك  
فى محلة فى انك ملتزم باطاعة أوامرى ... فأنا  
ريتشارد ، ملك انجلترا !!

فرجع لوكسلى وجميع الحاضرين أمامه ، وطلبوا  
العفو عن أخطائهم .

### فقال ريتشارد فى نبرة جليلة :

- انهضوا يا أصدقائى ، ان الخدمات المخلصة  
التي أسديتموها لرعاياى المظلومين فى القلعة والتي  
قدمتموها لى اليوم ، تمحو كل خطأ . أما أنت أيها  
الشجاع لوكسلى .

### فقال لوكسلى :

- مولاي ، لاداعى أن تنادينى بهذا الاسم ، بل  
باسم قد يكون واصلك من قبل ، فما أنا الا روبن هود  
صاحب حكايات غابة شيرودود .

وظهر فى المشهد اثنان آخران .. ايفانهو  
وجورث .

## فقال الملك :

— لا تخاف الآن يا ولفرید ، أن تنادينى باسمى .  
لقد قوبلنا بخيانة هنا ، ولكن الشكر لهؤلاء الرجال  
الشجعان فى القضاء عليها . ولكنى أعتقد بأنك غير  
مطيع . . ألم أقل لك أن ترتاح اليوم فى الدير حتى  
يلتئم جرحك ؟

## فاجاب ايفانهو :

— لقد التأمت كل جراحى ، ولكن أيها الملك  
النبيل ، لماذا تعرض حياتك للأخطار بسفرك  
بلا حراسة ، ومملكتك مهددة بحرب أهلية ؟

— اذا أفضحت عن شخصيتى بسرعة ، فستكون  
الأخطار أسوأ بكثير . لابد أن أعطى الوقت لأصدقائى  
البررة ليجمعوا رجالهم . ولكن هيا بنا يا سادة  
نتابع طريقنا والسعادة تملأ قلوبنا .

وعندما اقترب ريتشارد قلب الأسد وأصدقائه  
لقلعة كوننجزبرج ، وجدوا أنفسهم أمام مشهد  
كثير الحركة .

كانت وليمة العزاء معقودة فى الساحة : وكان  
سدريك جالسا مع أصدقائه داخل القلعة . فنهض  
عندما دخل الفارس الأسود وصافحه قائلا :

- لقد جئت لأذكرك أيها اللورد النبيل ،  
بوعذك فى تحقيق طلب لى .

**فاجاب سدريك :**

- انه مجاب، أيها الفارس النبيل .

- لقد عرفتنى حتى اليوم ، باسم الفارس  
الاسود ، ولكن أعرف أن محدثك هو ريتشارد ملك  
انجلترا ، الذى رغبته الأصلحة أن يرى أبناء انجلترا  
ساكسونيين ونومانديين متحدين .  
- أحسنت القول يامولاي .

- والآن اليك بطلبى . أن تغفوا عن ابنك  
ولفريد ايفانهو وتمنحه بركتك الأبوية !

**وصرخ ايفانهو ، ملقيا نفسه عند أقدام سدريك:**  
- أبى ! امنحنى عفوك .

فقال سدريك ، وهو يوقفه على قدميه :

— لك عفوى يابنى • فانى أعرف كيف أحفظ  
وعدى •• نريد أن نتكلم ، وأنا أعرف الموضوع •  
يجب على لىدى روبنا أن تنهى فترة الحداد على  
اثلستين ، الذى كان زوجها الموعود ، ولكن بعد ذلك •  
ودخل خادم يسأل عن ايفانهو ، قائلا أن رجلا  
يسأل عنه عند البوابة فى مسألة حياة أو موت •  
وبعد أن استلم ايفانهو الرسالة ، نادى على جورث  
وأخذ درعه وغادر القلعة مسرعا •

★★★



## الفصل التاسع والعشرون

### قضاء الله

يعود مشهدنا ثانية الى حصن فرسان الهيكل .  
ومسألة حياة أو موت ربيكا على وشك أن تحسم .  
 واجتمع جمهور كبير أمام البوابة . وأقيمت فى الجهة  
الأخرى محرقة ، وهى عبارة عن كومة من الكتل  
الخشبية ، حول عامود مثبت فى الأرض ، وبه سلسلة  
لتقييد المخلوقة البائسة التى ستحرق .  
ودق جرس كنيسة الدير ، وانفتحت البوابة ،  
وجاء فارس يحمل راية ووراءه مجموعة من فرسان  
الهيكل . ثم جاء الزعيم الكبير ، وخلفه بواجلبرت فى  
كامل تسليحه . ودخل الموكب الميدان بتمهل .

وقيدت ربيكا الى كرسى اسود موضوع بالقرب  
من كومة الخشب ، وعندما ألقت ببصرها على البقعة  
المخيفة ، ارتعشت وأغلقت عينيها .. ثم حملت  
بشبات عليها ، وكأنها تريد أن تعود ذهنها عليها ،  
ثم تطلعت نحو السماء .

واتخذ الزعيم الكبير مقعدا له ، وجلس الآخرون  
خلفه فى نظام ، حسب رتبهم .

### وقال الأب المقدس :

- الفارس بواجلبرت سيقا تل اليوم تأكيدا على  
أن الفتاة اليهودية التى تدعى ربيكا تستحق الحكم  
الصادر عليها بأنها يجب أن تموت كساحرة مشعوذة .

ونفخت الأبواق ، وبعدها خيم صمت شامل  
استمر بضع دقائق ، ثم أعلن الزعيم الكبير قائلا :

- لم يتقدم أى فارس للدفاع عن المتهمه ،  
فاذهب أيها الحاجب واسألها هل تنتظر أحدا يقاتل  
للدفاع عنها ؟

وحملت الرسالة ، واجابت ربيكا قائلة :

- قل للزعيم الكبير اننى اؤكد على براءتى ،  
واطالب بالمهلة التى يسمح بها قانونه . وسوف يبعث  
الله لى منقذا ، والا فلتكن مشيئة الله .  
فرفع الحاجب جواب الفتاة للزعيم الكبير ،  
الذى قال :

- سننتظر حتى تصل الشمس جهة الغرب  
وتتحول الظلال جهة الشرق . والا فعليها أن  
تستعد للموت .  
وجلس الزعيم الكبير منتظرا لمدة ساعتين .  
وساد الاعتقاد العام بعدم ظهور أحد من أجلها .  
وأخيرا ظهر فارس يحث جواده مسرعا ، وتقدم  
نحو الميدان .

**فصرخ الجمهور :**

- لقد وصل ! لقد وصل !

ولكن الفارس بدا عليه الارهاق الشديد ، بسبب

سفره المتواصل لعدة أميال حتى يلحق المحاكمة .  
**ووقف بجواده أمام الزعيم الكبير ، وقال :**

– اننى فارس ونبيلى ، ولقد جئت لادافع عن  
براءة ربيكا ابنة اسحق ، ولاتحدى بريسان دى  
بوا جلبرت .

**فقال الزعيم الكبير :**

– يجب على الغريب أولا أن يذكر اسمه .

**فقال الفارس رافعا خوذته :**

– اسمى ولغريد ايفانهو .

**فقال بوا جلبرت :**

– لن انازلك حتى تشفى جراحك ، وتحصل  
على جواد أفضل ، وعندئذ سأفكر هل تستحق أن  
أضيع عليك وقتى .

**فقال ايفانهو :**

– هل ! أيها الفارس المغرور . تذكر تباھيك

في قلعة روزروود بأنك ستقاتل ايفان هو وستعيد الشرف الذي قد فقدته ، وأن لم ينازلنى ويفى بوعده لأذيعن فى أرجاء أوروبا كلها أنه جبان ؟

**فصرخ بوا جلبرت :**

— أيها الكلب السكسونى سأنازلك ، فامسك رمحك واستعد للموت .

**فقال ايفان هو مقتربا من المحرقة :**

— ربيكا ، هل تقبلينى للقتال من أجلك ؟

**فقالت :**

— أقبل .. ولكن لا ! فجراحك لم تندمل بعد . ولماذا تهلك أنت أيضا ؟

ولكن ايفان هو كان قد احتل مكانه فى الميدان ، وأغلق خوذته وأشرع رمحه . وحذا بوا جلبرت حذوه ، ولاحظ خادمه عندما كان سيده يغلق خوذته ان وجهه الممتقع بصفرة الاموات منذ الصباح ، قد استحال الى الحمرة ، وكان الدم قد تجمع فى وجهه .

وأعطيت الإشارة ايذاً ببدء القتال ، رهبم كل  
منهما على الآخر . ولم يتحمل ايفان هو ولا جواده قوة  
الهجمة الأولى ، فقد كانت جراحه وشيكة عهد  
بالالتئام ، أما جواده فقد أرهقته الرحلة الطويلة التي  
قطعها بدون راحة ، فعثر به جواده أمام فارس المعبد  
وكاد يقع . وكان الجميع يتوقعون هذه النتيجة .  
ولكن الغريب أن رمح ايفان هو لمس بواجلبرت لمسة  
خفيفة ، ولدهشة الجميع ، سقط بوا جلبرت عن  
جواده .

وبسرعة تحرر ايفان هو من جواده المنبطح على  
الأرض ووقف ناهضاً على قدميه وامتشق حسامه ،  
ولكن خصمه لم ينهض . فوضع ولغريد قدمه على  
صدر فارس الهيكل ، وسدد حسامه الى عنقه ،  
وأمره أن يستسلم أو يموت .

**وصاح الزعيم الكبير قائلاً :**

— لا تقتله أيها الفارس .. سنعلن على الملأ أنه

مغلوب .

ونزل الى الميدان وأمرهم بنزع خوذة المغلوب .  
فكانت عيناه مغلقتين ، ووجهه احمر محتقنا ، وعندما  
تطلعوا عليه فى اندهاش انفتحت عيناه ، ولكنهما  
تجمدتا على وضعهما ، وانسحبت الحمرة من وجهه ،  
وحلت محلها صفرة الموت . وفارق الحياة ، لا من  
رمح عدوه ، بل من شدة غضبه وهياجه .

**وقال الزعيم الدينى :**

— حقا ، انه قضاء الله !!

\*\*\*





## الفصل الثلاثون

### فى فم الأسد

عندما انقضت لحظات الاندهاش الاولى عن  
ولفريد ايفانهو ، طلبوا من الزعيم الكبير أن يعلن  
حكمه .

قال الزعيم الكبير :

- أعلن اطلاق سراح الفتاة ، وانها غير مذنبه .
- وان جثمان المغلوب وأسلحته من حق الغالب .

فقال ايفانهو :

- لن آخذ أسلحته .. هذا ويد الله هي التي  
ضربته لايدى .. أما جثمانه فسيدفن كما يدفن

الرجال الصناديد ، حيث أنه مات فى نزال غير عادل .  
أما بالنسبة للفتاة ..

وحال دون اتمام عبارته قدوم أعداد غفيرة من  
الفرسان هزت الأرض هزا ، وكان على رأسهم الفارس  
الأسود . ووصل الى وسط الميدان ومن ورائه كوكبة  
من الفرسان فى دروعهم الكاملة ، وقال وهو يتطلع  
حوله :

— لقد تأخرت فى الوصول ، وكنت أود أن  
أتعامل مع بواجلبرت بنفسى . وأنت يا ايفانهو ،  
أمن الحكمة أن تقوم بهذه المغامرة وأنت بالكاد تستطيع  
أن تجلس على صهوة جوادك ؟

**فأجابه ايفانهو :**

— لقد تعاملت السماء مع هذا المتغطرس .

**فتطلع ريتشارد الى الجثمان وقال :**

— سلام الله عليه .. هذا ما قدر له . ولكن

لا يجب أن نضيع وقتنا . بوهان ، نفذ واجبك .

فتقدم فارس ووضع يده على كتف مالفويزون  
وكيل الدير ، وقال :

- التقى القبض عليك ..

**فصرخ الزعيم الكبير :**

- من هذا الجريء الذى يجسر أن يعتقل فارسا  
من فرسان الهيكل فى حرم دير ، وفى حضرة الزعيم  
الكبير ؟ بأى سلطة يمكنك عمل ذلك ؟

**فقال الملك رافعا صوته :**

- بأمر ريتشارد ملك انجلترا .

**فقال الزعيم الكبير :**

- سوف أقاوم !

**فقال الملك :**

- أيها الراهب المتكبر لاتستطيع . انظر  
وشاهد العلم الملكى لانجلترا يرفرف فوق أبراجك  
بدلا من علم معبدك . كن حكيما ولا داعى لمعارضة  
لا جدوى منها . ان يدك فى فم الأسد .

وكانت ربيكا فى أحضان أبيها العجوز غائبة  
عن الوعي أو تكاد ، ولكن كلمة واحدة من اسحق  
نبهتها ، عندما قال :

— هيا بنا يا ابنتى العزيزة ، يا كنزى المستعاد  
.. فلنذهب لنلقى أنفسنا عند أقدام إيفانهو لنشكره  
على صنيعه .

**فقالت ربيكا :**

— ليس هكذا ، أوه ، لا . لا . يجب أن أقول  
أكثر من .. لا ، يا والدى ، هيا بنا نترك هذا المكان  
البغيض فوراً .

**فقال اسحق :**

— ولكن يا ابنتى ، لا يمكن أن نترك هذا  
الشباب هكذا ، وهو الذى جاء والرمح والدرع فى يده  
لانتقاذك من محنتك !

**فقالت ربيكا :**

— انه .. انه .. سوف نشكره بكل امتنان

.. ولكنى ليس الآن • وبحق حبيبتك راشسيل ،  
أمى ، ليس الآن !

**فقال اسحق مصمما :**

– ولكن سيظنون اننا ناكرون للجميل •  
– ولكن لاحظ يا أبى أن الملك ريتشارد حاضر ،  
وأن ..  
– حقا يا حبيبتى وحكىمتى ربىكا ! فلتبعد  
الآن •

\*\*\*



## الفصل الحادى والثلاثون

### وداع ريكا

وفى الصباح الثانى لزواج ايفانهو وروينا ،  
جاءت وصيفتها الجيئا ، لتخبرها أن فتاة بالباب تريد  
محادثتها على انفراد .

فأمرت رويينا بالسماح للفتاة ، وبانسحاب  
اتباعها . فدخلت عليها الفتاة ذات القوام السمهرى ،  
متشحة بخمار أبيض ، وأحنت رأسها ولثمت طرف  
ثوب رويينا .

**فقالت العروس المندهشة :**

— ماذا تقصدين أيتها الزائرة ؟

– جئت لاعرب عن واجب الشكر وأرد الجميل  
الذى أدين به للفارس ايفانهو • اننى ياسيدتى الفتاة  
التعيسة ، التى جازف بحياته من أجلها فى المبارزة  
القضائية •

### **فقلت رويانا :**

– انه سدد بذلك دينه الذى طوقت به عنقه  
يوم سهرت عليه وضمدت جراحه ، هل فى استطاعتى  
أن أقوم بخدمتك ؟ أو أعيذك فى أمر من الأهور ؟

### **فاجابت ربيكا :**

– لا أطلب منك يا سيدتى النبيلة الا ان تبلغيه  
شكرى ووداعى •

– هل سترحلين عن انجلترا ؟

### **فقلت وعيناها مبللة بالدموع :**

– نعم يا سيدتى ، سأرحل عندما يتبدل  
القمر • ان قلبى يمتلئ بالذكريات عندما أتذكر قلعة  
توركويل ، وميدان المحرقة فى تمبلسنو • وداعا



ويظل جزء بسيط من واجبي ، وهو أن تتفضل  
بقبول هذه .

وفتحت رويانا العلبة الفضية الأنيقة التي ناولتها  
ربيكا ، فلاحظت أنها تحتوى على خواتم وحلى من  
الواضح أنها ثمينة القيمة . فقالت :

- لا يمكننى أن أقبل مثل هذه الهدية الغالية  
الثلث .

**فقالت ربيكا :**

- تفضل بقبولها يا سيدى ، فهي لا قيمة لها  
بالنسبة لمنزلتك كما أنها لا قيمة لها عندى ، لأنى لن  
أتحلى بمثل هذه المجوهرات بعد اليوم .

**فقالت رويانا :**

- اذن ، أنت بائسة ! ابق معنا وسأكون لك  
أختا وفية .

- لا ، ياسيدتى ، فأنا سأكون من ضمن  
النساء اللاتى وهبن أفكارهن للسماء ، وأفعالهن

للأعمال الخيرية بين البشر ، رعاية المرضى وإطعام  
الفقراء وتخفيف الأحزان عن المكروبين . والآن وداعا . .  
وادعو الله الذى خلق كلانا ، أن ينزل أفضل بركاته  
عليك .





رقم الايداع: ٩٨ / ٨١١٦

I.S.B.N. -----

977 - 01 - 5739 - 2